

الأدب العالمي للناشئين
قصة الملك آرثر وفرسانه
هاورد بايل

قصة الملك آرثر وفرسانه

قصة الملك آرثر وفرسانه

تأليف
هاورد بايل

ترجمة
فايقة جرجس حنا



قصة الملك آرثر وفرسانه

هاورد بايل

The Story of King Arthur and His Knights

Howard Pyle

الطبعة الأولى ٢٠١٢م
رقم إيداع ٢٠١٢/٣٨٩٩

كلمات عربية للترجمة والنشر
إن كلمات عربية للترجمة والنشر غير مسئولة عن آراء المؤلف وأفكاره
وإنما يعبّر الكتاب عن آراء مؤلفه
ص.ب. ٥٠، مدينة نصر ١١٧٦٨، القاهرة
جمهورية مصر العربية
تليفون: ٢٢٧٢٧٤٣١ ٢٠٢ + **فاكس:** ٢٢٧٠٦٣٥١ ٢٠٢ +
البريد الإلكتروني: kalimat@kalimat.org
الموقع الإلكتروني: http://www.kalimat.org

بايل، هاورد.
قصة الملك آرثر وفرسانه/تأليف هاورد بايل . – القاهرة: كلمات عربية للترجمة والنشر، ٢٠١٢.
تدمك: ٩٧٨ ٩٧٧ ٥١٧١ ٢٢ ١

١–القصص الإنجليزية

أ–العنوان

٨٢٣

الغلاف: رسم حنان الكرارجي، تصميم سيلڤيا فوزي.

المحتويات

كتاب الملك آرثر

مقدمة

في قديم الزمان، عاش ملك اسمه يوثر بيندراجون، وكان يحكم بريطانيا بأكملها. وفي هزيمته لأعدائه، اعتمد يوثر بيندراجون بشدة على رجلين من رجال بلاطه؛ أحدهما هو ميرلين الحكيم، الذي كان ساحرًا يستطيع أن يرى المستقبل، والآخر هو سير أولفيوس، الفارس النبيل الذي قاد الجيش في الكثير من الحروب العظيمة.

وكان لزوجة الملك يوثر بيندراجون، الجميلة إيجراين، ابنتان من زوج آخر. كانت إحداهما، التي تُدعى مورجانا لي فاي، ساحرة ذائعة الصيت. وسرعان ما أنجبت إيجراين مولودًا ذكرًا. وعندما جاء ميرلين ليرى الصبي، وقف فوق مهده وأغمض عينيه وقال للملك يوثر بيندراجون: «مولاي، يؤسفني أن أخبرك بأنني أرى أمورًا سيئة في المستقبل: ستعتريك الحمى عما قريب وتموت. وستسقط مملكتك في غياهب فوضى عارمة، وستكون حياة طفلك في خطر شديد بسبب الأعداء الذين سيحاولون سلبه حقوقه الشرعية. أتوسل إليك، اترك الصبي لي أنا وأولفيوس لنأخذه بعيدًا، ولسوف نخبئه في مكان آمن إلى أن يكبر!»

كان يوثر بيندراجون يثق ثقة كبيرة في نصائح ميرلين وفي الهبات التي ظن أن ابنه سوف يقدمها إلى العالم يومًا ما. ومن ثم ترك ميرلين وأولفيوس يأخذان الطفل ويخفيانه. ولم يمر زمن طويل حتى مرض يوثر بيندراجون بالفعل ومات. وكما تنبأ ميرلين تمامًا، سقطت المملكة في فوضى عارمة، ورغب كثيرون من الملوك الأقل شأنًا في الاستيلاء على عرشها. وتربص كثيرون من الفرسان والبارونات الآخرين على جوانب الطرق العامة بالضعاف من المسافرين للهجوم والسطو عليهم. مرّت ثمانية عشر عامًا تقريبًا على هذا المنوال. وأنَّت الأرض بما عليها من اضطرابات عنيفة.

وأخيرًا، استدعى رئيس أساقفة مدينة كانتربيري ميرلين ليمثل أمامه، وتوسل إليه قائلًا: «ميرلين، سمعت أنك أذكى رجل في العالم. حتمًا أنت تستطيع أن تستخدم مواهبك في العثور على ملك جديد، حتى ننعم بحياة سعيدة كما كنا أيام يوثر بيندراجون، أليس كذلك؟»

أغمض ميرلين عينيه السحريتين مرة أخرى، ثم نطق بعد برهة: «سيدي، يسعدني أن أخبرك بأنني أرى أمورًا عظيمة في المستقبل. عن قريب سيكون هناك ملك جديد لهذا البلد، وسيكون أحكم من صديقنا القديم يوثر بيندراجون وأعظم منه، وسيرسي النظام والسلام، فلن يكون هناك مكان للفوضى والحرب. والأروع من كل هذا، أن هذا الملك الجديد سيكون من دم ولحم يوثر بيندراجون.»

غمرت السعادة رئيس الأساقفة، غير أنه تحير وسأل ميرلين: «ميرلين، متى سيأتي هذا الملك الجديد؟ وكيف سنعرفه عندما يصل؟ كيف سنميزه من بين كل أولئك الذين قد يفعلون كل ما في وسعهم كي يحكموا مكانه؟»

لمعت عين ميرلين وسأله: «أتثق بي؟» أومأ رئيس الأساقفة برأسه إيجابًا، فأردف ميرلين: «إذن سأرتب حدثًا ضخمًا، وبانتهاء هذا الحدث سيعرف البلاط ملكه الشرعي.»

لوح ميرلين بيديه، وعندئذ ظهر أمامه حجر ضخم من الرخام، وعندما لوح بيديه مرة أخرى ظهر سندان من الحديد الصلب فوق كتلة الرخام، وعندئذ أدخل ميرلين سيفًا أزرق كبيرًا في السندان. كان السيف لامعًا وبراقًا، ويده الذهبية منقوشة بعناية وموشاة بالكثير من الأحجار الكريمة. وكان مكتوبًا على نصل السيف بأحرف ذهبية: «الذي يستطيع أن ينزع هذا السيف من السندان يكون هو الملك الشرعي لبريطانيا.»

وبناء على طلب من ميرلين، أعلن رئيس الأساقفة عن مسابقة في يوم عيد الميلاد يمكن أن يشترك فيها كل الناس من كل حدب وصوب. كل من يرغب يمكنه أن يحاول نزع السيف من السندان. والذي يستطيع أن يفعل هذا سيكون ملك بريطانيا الجديد. ملأ الحماس أرجاء المدينة، وظن كثيرون أن الملك لوت هو من سيعتلي العرش، فيما ظن آخرون أن الملك يورين ملك جور هو من سيملك بريطانيا. ورأى البعض أن الملك ليوديجرانس ملك كاميليارد هو من سينتزع السيف، فيما ظن البعض أن هذا سيكون هو الملك رينس ملك شمال ويلز.

وعندما حلّ عيد الميلاد، بدا وكأن العالم بأسره يشق طريقه نحو لندن من أجل المباراة، إذ عجت الطرق العامة والحانات والقلاع بالمسافرين، وجاء الملوك واللوردات

والفرسان والسيدات وحملة الدروع والخدم والجنود لمشاهدة تلك اللحظة التي ستسجل في التاريخ.

وعندما رأى رئيس الأساقفة الجمع الغفير، اعترف بالحماس الذي تملكه وقال: «ميرلين، سأتعجب أيما تعجب إذا لم نعثر على شخص واحد جدير بالعرش وسط كل أولئك الملوك واللوردات النبلاء ذائعي الصيت!»

فما كان من ميرلين إلا أن ابتسم وقال: «سيدي، قد تتعجب تعجبًا شديدًا؛ فالشخص الوحيد الجدير بالعرش «بحق» ربما لا يزال مجهولًا تمامًا.»

فكر رئيس الأساقفة في كلمات ميرلين، وهكذا بدأت هذه القصة السحرية.

الجزء الأول

الفوز بالملك

الفصل الأول

كان الفارس النبيل سير إيكتور من بونمايسون وسط النبلاء العظام الكثيرين الذين وفدوا إلى لندن من أجل المسابقة، وقد أحضر السير إيكتور معه ولديه؛ الابن الأكبر سير كاي، الذي أبدى بالفعل شجاعة ومؤشرات نجاح عظيمة، والأخ الأصغر آرثر الذي كان لا يزال غلامًا في الثامنة عشرة من العمر فحسب، والذي كان يعمل الآن حامل الدرع لأخيه، أي بمنزلة مساعد فارس.

أحضر سير إيكتور وولداه مجموعة أمتعة رائعة، فقد أحضروا خيمًا جميلة من الحرير الأخضر مزخرفة بشعار النبالة الخاص بالعائلة. وعندما وصلوا الميدان الذي سيجتمع فيه المتبارون، لم يكونوا وحدهم؛ فقد كان هناك ملوك ودوقات مع حاشيتهم، وما لا يقل عن عشرين ألف لورد وسيدة. وكان يوجد عدد هائل من الأعلام والرايات حتى إنها حجبت السماء تمامًا.

ولما رأى رئيس أساقفة مدينة كانتربيري المشهد ابتسم، إذ سيكون هذا حدثًا عظيمًا. لن يتبارى الرجال من أجل نزع السيف في يوم عيد الميلاد فحسب، بل ستُعقد أيضًا مسابقة مفتوحة خلال الأيام الثلاثة التي تسبق يوم نزع السيف. وقد دعا رئيس الأساقفة إلى هذه المسابقة جميع الفرسان ذوي الحسب بالدرجة الكافية والذين يتمتعون بصحة جيدة وكفاءة عالية للتباري.

وبالطبع وُجد السير كاي كفؤًا ومن ثم اشترك في المسابقة. وكان آرثر الصغير شديد الفخر بأخيه، وقد سعد بأن يحمل علم كاي ويسير أمامه إلى ميدان المعركة.

وعندما جاء يوم المسابقة، جلس الجمهور على مقربة شديدة بعضهم من بعض، حتى إن الميدان بدا مسورًا بجدار مصمت من الأجساد البشرية. وعند إعطاء رئيس الأساقفة إشارة البدء، تقدم نافخ الأبواق ونفخ في البوق بقوة، ففُتحت الأبواب عند الأطراف المتقابلة

لساحة القتال، ودخلت الفرقتان الأوليان من الفرسان. ملئوا ساحة القتال بدروعهم البراقة وأدوات القتال الأخرى. ولمّا نفخ مرة ثانية، وثب الفرسان بعضهم نحو بعض شاهرين رماحهم.

بدت الأرض كلها تئن تحت الأقدام المجهدة لجياد الحرب التي يمتطيها الفرسان، والصليل الناجم عن تصادم الرماح وانكسارها. وعندما انتهت المعركة الأولى وغادر الفرسان، كانت قطع المعادن المكسورة تغطي الساحة. وبدا

وكأن الجمع — الذي أدرك أفراده أنهم كانوا يكتمون أنفاسهم — يزفرون معًا وكأنهم شخص واحد. ونُظفت الساحة استعدادًا للجولة الثانية.

أبلى سير كاي بلاء حسنًا في الجولة الأولى، وتصدى في لحظة من اللحظات لهجمات خصمين في وقت واحد. ومن أجل هذا، كان واثقًا من أنه مستعد للجولة الثانية التي ستتضمن سيوفًا بدلًا من الرماح. ونُفخ في البوق مرة أخرى، وخرج الفرسان. وعلى الفور تقريبًا أثبت سير كاي جدارته مرة أخرى. لقد درأ هجمات خمسة خصوم هذه المرة.

على أنه ربما زادت ثقة سير كاي في نفسه هنا في هذه المباريات؛ فعندما أقبل فارس ضخم قوي، اسمه بالامورجنيز، ليبارزه، ضحك سير كاي الفتيّ وقبِل المبارزة في الحال. ولمّا أقسم كاي أن يهزم بالامورجنيز كما فعل بالآخرين، ضرب رأس خصمه بسيفه، فارتطمت الضربة بخوذة بالامورجنيز وارتج مخه بقوة، لكن لسوء الحظ، بينما كان يُفيق من الدوار الذي أصابه، اكتشف كاي أن نصل سيفه انكسر نصفين. لقد صار أعزل الآن.

صرخ كاي: «آرثر، هيا أسرع إلى خيمة أبينا وأحضر لي سيفًا آخر!» ركض آرثر بأقصى سرعة لديه، لكن عندما بلغها لم يجد هناك أحدًا ولم يجد سلاحًا. وفجأة تذكر أنه رأى سيفًا موضوعًا في سندان، على مقربة منه. وقد ظن يقينًا أن هذا السيف سيفي باحتياج أخيه تمامًا.

وعندما وصل آرثر الكنيسة حيث يوجد سيف ميرلين والسندان، لم يكن الحراس هناك، إذ كانوا هم أيضًا يشاهدون المباراة. لذا لم يكن هناك من يردعه حينما قفز إلى كتلة الرخام وانحنى وانتزع السيف بكل سهولة ثم دثره في عباءته وركض ليعطيه لأخيه.

وعندما رأى سير كاي السيف، الذي عرفه لتوه بالطبع، ذُهل حتى إنه تسمر في مكانه كالصنم، كأنما حوله أحدهم إلى حجر بفعل قوة سحرية. وأخيرًا تمتم: «من أين جئت بهذا السيف؟» شرح آرثر — الذي كان في غاية البراءة — الأمر لأخيه، وعليه قرر

سير كاي — الذي لم يكن شديد البراءة على الإطلاق — أن يدعي أنه هو من انتزع السيف من السندان بنفسه. قال كاي لآرثر: «لا تخبر أحدًا البتة بهذا.» ومرة أخرى وافق آرثر بكل براءة.

غير أن سير كاي أراد أن يخبر أحدهم لذا قال لآرثر: «اذهب وأحضر والدنا.» وركض آرثر وطلب من سير إيكتور أن يأتي في عجالة، إذ لم يسبق له أن رأى كاي في هذه الحالة قط. قال آرثر: «قطعًا حدث شيء مهم.»

وعندما وصل سير إيكتور رأى أن آرثر كان على حق؛ إذ كان وجه ابنه الأكبر شاحبًا كخشب الدردار، وعيناه تبرقان بشدة. قال سير كاي: «أبي، لا بد أن أريك شيئًا رائعًا.» أخذ سير كاي والده من يده وذهب به إلى طاولة وضع عليها سيف آرثر الذي دثره في عباءة أيضًا. ونزع سير كاي العباءة ليُري أباه السيف البراق.

عرف سير إيكتور السيف على الفور فسأل ابنه: «كيف حصلت على هذا؟»

ماطل سير كاي في إجابته قائلًا: «لقد كُسر سيفي الأصلي، ثم حصلت على هذا بدلًا منه.»

قال إيكتور في عجب: «بُني، إذا كنت قد انتزعت هذا السيف من السندان، فأنت إذن ملك بريطانيا الشرعي. لكن إن كنت أنت حقًّا من انتزعه، ينبغي أن تكون قادرًا على إعادته إلى مكانه بنفس السهولة؛ إذ يجب أن تنتزعه مرة أخرى أمام شهود.»

ارتبك سير كاي وتساءل: «من عساه يستطيع زجَّ سيف في كتلة صلبة من الحديد؟» هذا أمر معجز! لكن إذا كان أخوه الذي لم يكن مميزًا على الإطلاق استطاع أن يسحبه، فإذن قطعًا سيستطيع هو — الذي يرى نفسه مميزًا إلى أبعد الحدود — أن يزج بالسيف في السندان ثم ينتزعه مرة أخرى أيضًا.

الفصل الثاني

حينما عادوا إلى السندان، الذي ما زال بلا حراس، أخرج سير كاي السيف من العباءة، ثم وضع طرفه على السندان الحديدي وأخذ يدفعه بكل ما أوتي من قوة، لكن دون جدوى. بعد مرور بضع دقائق، وبعد أن احمر وجهه حمرة شديدة من المجهود الذي بذله، استسلم، واعترف لأبيه قائلًا: «أبي، لا يستطيع أي رجل أن يصنع هذه المعجزة.»

سأل آرثر: «هل يمكن أن أحاول؟»

رد إيكتور متسائلًا: «وبأي حق تحاول؟»

أجاب آرثر: «بحق أنني أنا من انتزع هذا السيف في المقام الأول من أجل أخي.» لم يكن آرثر يقول هذا متفاخرًا، وإنما إقرارًا بالحقيقة فحسب. وكان آرثر لا يزال صبيًّا بريئًا، لا يفهم المباراة ولا معناها، بل ولا يعلم لمَ ينظر إليه والده بغرابة الآن، فسأله: «هل أنت غاضب مني؟»

أخبر سير إيكتور ولده الصغير أنه ليس غاضبًا منه، وطلب من ابنه الكبير أن يسلمه السيف. وشاهد الأب والابن الكبير آرثر وهو يقفز على حجر الرخام ويدخل السيف بمنتهى السهولة في السندان، ثم ينتزعه ويدخله مرة أخرى، مؤديًا المعجزة مرتين.

لهث سير إيكتور ثم انحنى، وضم يديه معًا كما لو كان يتضرع إلى الله.

صرخ آرثر وهو يرمي السيف ويركض نحو والده: «أبي!»

قال سير إيكتور: «أنا لست والدك.» تجهم وجه آرثر، وتجهم وجه كاي كذلك، لكن هذا الأخير تجهم لفكرة أن أخاه وليس هو قد يصبح الملك بالفعل.

تنحنح سير إيكتور وبدأ يسرد قصته. بدأت القصة منذ ثمانية عشر عامًا عندما أحضر له ميرلين العراف وأولفيوس الفارس رضيعًا، ولم يخبراه أي طفل هذا، وإنما كل ما أخبراه به هو أنه لا بد أن يسمي هذا الطفل آرثر ويربيه كأنه ابنه. وهذا ما فعله.

قال سير إيكتور إنه لم يحاول قط أن يخمن من عساه يكون والد آرثر. لكن اليوم يتضح الأمر وضوح الشمس، فقطعًا لا يستطيع أن يجري مثل هذه المعجزة إلا ابن يوثر بيندراجون. كان آرثر هو الملك الحقيقي.

سأل سير إيكتور آرثر: «لمَ تبكي يا بُني؟»

أجاب آرثر: «أبكي لأنني أشعر وكأنما قد فقدتك، ولأنني أؤثر أن تكون أنت والدي على أن أصير ملكًا.»

في تلك اللحظة ظهر رجلان بطريقة أشبه بالسحر: ميرلين العراف، وأولفيوس الفارس، بأنفسهما.

قال ميرلين موضحًا: «رأيت كل ما حدث اليوم على سطح كأسي السحري. ولطالما انتظرت هذه اللحظة طيلة ثمانية عشر عامًا.»

ثم أمسك ميرلين بيد آرثر وأخبره بما تخبئه له الأيام: «ستكون أعظم وأشهر ملك عاش في الوجود، وسيجتمع حولك الكثير من الفرسان الأكفاء. وسيتحدث العالم عن أعمالك ومغامراتك إلى انقضاء الدهر.»

سأل سير إيكتور آرثر الذي لم يعد ابنه فجأة: «هل تقطع لي وعدًا؟»

أجاب آرثر: «بالطبع.»

قال إيكتور: «عندما تُتوج ملكًا على بريطانيا، هل تقلد أخاك كاي في أحد المناصب في مملكتك؟»

قال آرثر: «بالطبع، ولكن بشرط أن تظل والدي إلى الأبد.»

ختم آرثر تبادل الوعود هذا بقبلة على جبين والده وعلى وجنتيه. وبالفعل سيحفظ الرجلان وعودهما.

وهكذا اكتشف آرثر للمرة الأولى أنه ملك، وإليكم كيف اكتشف العالم هذا أيضًا.

بحلول صباح يوم عيد الميلاد، يوم المسابقة، وفد ألوف الناس لمشاهدة مباراة السيف، وبُنيت منصة تحت كتلة الرخام، ونُصب عرش فاخر من أجل رئيس الأساقفة.

تنص القواعد على أنه لا يتقدم للمنافسة في الجولة الأولى على الأقل إلا أولئك الذين لهم حق طبيعي في ذلك. من ثم تقدم في الحال تسعة عشر ملكًا وستة عشر دوقًا. وكان من بين من تقدموا الملوك بيلينوري، ولوت، ويورين، وليوديجرانس، ورينس. حاول كل منهم نزع السيف، بل إن بعضهم حاول أكثر من مرة، لكن جميعهم أخفقوا، ما جعلهم

يشعرون بالاستياء والحرج. واندهش الجمع أيضًا؛ فإن لم يستطع أولئك العظماء أن ينجزوا المهمة، فمن عساه يستطيع؟

قال الملوك والدوقات لرئيس الأساقفة: «لقد خدعك ميرلين! هذه المهمة مستحيلة. لقد دبر ميرلين هذه الخدعة ليجعل منا جميعًا أضحوكة! لا بد أن تختار بحكمتك واحدًا منا ليصير ملكًا. وما إن تختاره، سنعد بأننا نتبعه.»

كاد رئيس الأساقفة يوافق، غير أنه لم يصدق أن ميرلين قد يتسبب في مثل هذه الاضطرابات، لذا قال: «سنصبر فترة وجيزة فحسب. فترة تعادل العد إلى رقم خمسمائة مرتين، فإذا لم يستطع أي شخص أن ينتزع السيف حتى ذلك الحين، فسأفعل ما طلبتم.»

بدأ الملوك والدوقات يعدون بصوت عالٍ وبسرعة: «واحد، اثنان، ثلاثة، أربعة، نشكرك! خمسة، ستة ...»

واستمر العد: «أربعمائة وثمانون، أربعمائة وواحد وثمانون، أربعمائة واثنان وثمانون.» وأخيرًا نادى كل من ميرلين وأولفيوس: «آرثر»؛ فلمّا كانا مستمتعين بالتشويق، انتظرا حتى اللحظة الأخيرة.

تعجب الجمع بصوت مرتفع فيما وصل سير إيكتور، وسير كاي، وآرثر قبل اللحظة الأخيرة مباشرة: «من أولئك الرجال السائرون مع ميرلين وأولفيوس؟» وتقدم ميرلين بصحبة آرثر إلى منصة رئيس الأساقفة وقال: «سيدي، لقد أحضرت لك المتباري التالي في مسابقة السيف.»

سأله رئيس الأساقفة: «بأي حق أحضرته؟»

أجاب ميرلين: «بحق كونه الابن الحقيقي للملك يوثر بيندراجون.»

لهث الجمع من فرط الإثارة والانبهار. لقد أخذ ميرلين الفتى وهو صغير رضيع حتى قبل أن يدرك أحد أن ابن الملك يوثر بيندراجون قد وُلِدَ. سرد ميرلين في صبر قصته وكان أولفيوس وسير إيكتور يؤكدان ما يقوله. وسمح رئيس الأساقفة لآرثر بأن يحاول.

وكما فعل آرثر من قبل، وضع يديه على السيف وانحنى وانتزعه، وشاهد كل الجمع انسلال قطعة المعدن بسلاسة من السندان. ولأن هذه المرة كانت أكثر إثارة من سابقتها، شهر آرثر السيف فوق رأسه ولوح به في الهواء ثلاث مرات في احتفال مبهج، فأومض السيف وكأنه البرق.

ثار الجمع بشدة وأخذوا يصرخون بصوت مرتفع جدًّا، حتى بدا كأنما العالم كله يهتز. وعلى صرخاتهم أعاد آرثر إدخال السيف في السندان ثم انتزعه مرتين أخريين، فكان إجمالي عدد المرات التي أجرى فيها المعجزة ثلاث مرات.

شاهد الملوك والدوقات ما يحدث في ذهول. فبمقارنته بهم، لم يكن آرثر سوى غلام صغير. فرح بعض من الرجال العظماء، منهم الملك ليوديجرانس، من أجل آرثر وقبلوه في الحال. إلا أن البعض، ومنهم الملك بيلينوري، ورينس، ولوت، ويورين شعروا بالمرارة والحقد، وأرادوا أن يطعنوا في النتيجة.

تنحى كل من سير إيكتور وسير كاي جانبًا، وكل منهما تنتابه مشاعر مختلطة؛ فمنذ لحظات فحسب لم يكن آرثر سوى صبي؛ ابن وأخ. لكن بحدوث المعجزة، صار رجلًا في الحال.

تدافع الجمع من أجل لمس آرثر، أو حتى لمس أهداب ثوبه. لكن لمّا رأى آرثر الانفعالات التي علت وجه الأسرة التي لم يعرف غيرها في حياته، اندفع وسط الجمع كي يصل إلى سير إيكتور وكاي، وأمسك بيديهما وقبل كلًّا منهما برقة على وجنته، وعندئذ علت هتافات الجمع أكثر من ذي قبل. كان قلب آرثر ونفسه يرقصان طربًا حتى إنه بدا وكأنهما يحلقان كطائر رشيق.

وبعد مشاهدة هذا السحر، تمنى ميرلين أمنية؛ وكانت أمنيته هي أن كل من قد يسمع هذه القصة — بمن فيهم أنت عزيزي القارئ — يدرك أنه هو أيضًا يمكن أن ينجح في مساعيه، وأن كل ما عليه هو أن ينتزع بشغف سيف أحلامه من الحديد الصلب الموجود في الموقف الذي يعيشه. فكر في هذا فيما تتوالى أحداث هذه القصة.

خاتمة

بالطبع، يندر أن تسير الأمور بهذه السهولة، ولم يكن هذا الحدث استثناءً من القاعدة العامة؛ إذ لم يصر آرثر ملكًا في التو واللحظة. فبينما فرح كثيرون لإرساء السلام أخيرًا في الأرض المضطربة، ظل البعض رافضين قبول النتيجة، فطلبوا أن يقوم آرثر بالمزيد من المحاولات.

ومن أجل حفظ السلام، وافق رئيس الأساقفة على هذا الطلب، وأمر بتجهيز مسابقة أخرى لانتزاع السيف في يوم عيد «دخول المسيح الهيكل» حيث ستُعاد الكَرة من جديد. ثم كانت مباراة ثالثة يوم عيد «الفصح»، ورابعة يوم عيد «العنصرة». وبعد المباراة الرابعة، لم يقتنع معظم الناس فحسب، بل أحبوا آرثر حينذاك حبًّا جمًّا. وأخيرًا أُعلن تتويج آرثر رسميًّا.

وبمساعدة ميرلين ونصائحه السديدة، بنى آرثر مملكة عظيمة وقوية أسماها «كاميلوت». وكوّن أيضًا صداقات مع ملوك آخرين. وتبقى عدد قليل من الأعداء شنوا حروبًا عليه، ولكنه استطاع درء هجماتهم وتحقيق النصر في حروبه، فجرد عدوه الملك بيلينوري من ممتلكاته وطرده إلى الغابة، وطرد الملك رينس إلى الجبال. ولتجنب هجمات الأعداء الآخرين المحتملين أمثال الملك لوت والملك يورين، أخذ آرثر بعض الرهائن لحفظ السلام؛ فقد أسر جيواين وجيهاريس ابني الملك لوت، وإيواين ابن الملك يورين. لم يحتفظ بهم سجناء وإنما رجال من رجال بلاط آرثر.

وفيما عم السلام أرجاء الأرض، بدأت عظمة آرثر — كما يليق بالعظمة — تجلب له مزيدًا من العظمة. بدأ رجال نبلاء من أصحاب المواهب تمنوا بدورهم أن يحققوا المجد في الفروسية يجتمعون حوله. ولسوف يُعرف أولئك الرجال المبجلون باسم «النبلاء» أو

«الفرسان» أو «رفاق الطاولة المستديرة المبجلون القدماء». ولسوف نروي أيضًا قصصهم النبيلة.

الجزء الثاني

الفوز بسيف

الفصل الأول

في أحد أيام الربيع الدافئة، كان آرثر ورجال حاشيته يشقون طريقهم وسط غابات أوسك. وكان من بين الفرسان الذين كانوا برفقته حينذاك سير جيواين، وسير إيواين، وسير كاي، وسير بيلياس.

كان الرجال قد توقفوا ليستظلوا من الشمس عندما وقعت أعينهم فجأة وسط الأشجار على منظر مؤسف؛ إذ كان هناك فارس غارق في دمائه، ويضعه خادم ذهبي الشعر على جواده. التف رجال آرثر حولهما للمساعدة، وسألوه عما حلّ بضيفهم، الذي اتضح أن اسمه سير مايلز من وايت فاونتن.

وأخبرهم الغلام أنه خرج هو وسير مايلز في أحد الأيام بحثًا عن مغامرة، ومرا بأحد الأودية حيث كانت ثلاث حسناوات يتقاذفن كرة ذهبية. أرشدتهما الحسناوات إلى جسر حجري يمر فوق نهر متلاطم الأمواج، حيث سيجد سير مايلز مغامرة رائعة تسر قلب أي رجل، كما أكدت له الحسناوات.

أوضح الغلام أنه ذهب مع سير مايلز إلى الجسر، وبعد الجسر بمسافة طويلة، كانت توجد قلعة مظلمة ذات برج منتصب شاهق الارتفاع. وعلى الجانب الآخر مباشرة من الجسر، توجد شجرة تفاح يتدلى من أغصانها بالقرب من الأرض عدد كبير من التروس. وكان هناك ترس واحد أسود في وسط الجسر وإلى جانبه مطرقة نحاسية، وإلى جانب الترس لافتة مكتوب عليها: «من يطرق على هذا الترس هو وحده المسئول عن هذه المجازفة.»

أمسك سير مايلز بالمطرقة وضرب الترس الأسود. وانفتحت الأبواب الضخمة للقلعة وخرج منها فارس يتسربل بدرع من فرو السمور، اندفع في غضب إلى منتصف الجسر.

قال الفارس إنه بسبب وقاحة سير مايلز فإنه سيسلبه ترسه ويدليه من الشجرة كبقية التروس الأخرى التي تتدلى من شجرة التفاح.

وبالطبع قاتله سير مايلز وأُصيب بجروح خطيرة وسرعان ما وقع على الأرض هامدًا. اقترب فارس السمور وأخذ ترس سير مايلز وعلقه في شجرة التفاح. وعندئذ استدار وعاد أدراجه إلى قلعته. وأخذ الغلام سيده بعيدًا عبر الغابة إلى حيث التقى بآرثر.

رأى آرثر أنه من الوقاحة الشديدة أن يُترك فارس ساقط على الأرض وأن يُؤخذ ترسه، واتفق معه في الرأي بقية الفرسان الآخرين.

ثارت ثائرة غلام يُدعى جريفلت أكثر من الباقين عند سماعه هذه القصة، فهب واقفًا، وترجى آرثر أن يعطيه لقب فارس، وتمنى أن يذهب إلى الجسر ويقاتل فارس السمور. تردد آرثر؛ إذ كان جريفلت لا يزال صبيًّا غير مُدرَّب على القتال. لكن لعله تذكر أيام صباه فوافق أخيرًا.

غادر جريفلت غداة اليوم التالي، وأمضى اليوم بأكمله، وعندما عاد، أخبرهم بأنه التقى أيضًا النساء الثلاث اللاتي أرسلنه كذلك إلى الجسر من أجل المغامرة، وهناك تركه فارس السمور أيضًا بجراح دامية وسلب ترسه وعلقه في مكان ما في تلك الشجرة.

لم يشأ فارس السمور في البداية أن يقاتل غلامًا صغيرًا غير مُدرَّب على القتال، وبعد أن قاتل جريفلت وجرحه، كان من اللياقة بحيث رفعه على جواده. لكن آرثر لم يلق بالًا لهذا، وأقسم غاضبًا أنه لا بد من إنزال العقاب بفارس السمور، وسيقوم بهذه المهمة بنفسه هذه المرة.

وفي صباح اليوم التالي، ارتدى آرثر درعه، وامتطى جوادًا أبيض، وشرع في رحلته إلى الوادي حيث سيعثر على النساء اللاتي يتقاذفن الكرة. وعندما رأت النساء آرثر، توقفن عن اللعب وسرن نحوه. وعندما سألهن أيضًا بماذا ينصحن رجلًا يبحث عن مغامرة، ترجينه ألا يهمّ بالبحث عنها سريعًا، وأن يمكث معهن بعض الوقت.

قال آرثر: «للأسف، لا أستطيع. لا بد أن أرحل للعثور على فارس السمور الوقح، فقد آذى اثنين من أصدقائي وسلب ترسيهما.»

وبعدما سار آرثر أميالًا قليلة في الغابة المظلمة، وصل بقعة مليئة بالدخان حيث وجد ثلاثة رجال يغطيهم السخام، ممسكين بسكاكين في أيديهم، يهددون كهلًا ذا لحية بيضاء كالثلج.

أبعد آرثر في ثورة غضبه الرجال بسيفه عن الكهل، ولمّا التفت ليسأل الكهل هل هو بخير أم لا، أدرك أن الكهل لم يكن سوى ميرلين العراف.

قال آرثر متعجبًا: «يبدو لي أنني أنقذت حياتك!»

سأله ميرلين: «أتظن ذلك؟ خذني معك وأنت تواصل هذه المغامرة، فلعلي أقدم لك بعض العون.»

سار آرثر وميرلين بعض الوقت، وعثرا على النهر المتلاطم الأمواج، والجسر الحجري، والقلعة القائمة بمفردها في الخلاء، وشجرة التفاح التي تتدلى منها التروس، النظيف منها والملطخ بالدماء. ضرب آرثر الترس الأسود لفارس السمور بقوة بدا معها وكأنه ضرب اثني عشر ترسًا في وقت واحد. وعندما خرج فارس السمور، تقاتل هو وآرثر قتالًا وحشيًّا. وذُهل كلاهما من المهارة والقوة الفائقتين اللتين ينعم بهما الآخر.

استمر القتال إلى أن انكسر سيف آرثر، فلمّا رأى فارس القلعة ذلك، ضرب آرثر ضربة قاضية أخرى على رأسه. نفذت الضربة عبر خوذة آرثر، فاهتز مخه في جمجمته، وسقط آرثر على إثر هذه الضربة. بيد أنه عندما تخلى فارس القلعة عن حيطته، غافله آرثر. ولمّا أمسك آرثر بخوذته ونزعها، وجد أن عدوه لم يكن سوى الملك بيلينوري، الذي طرده آرثر إلى الغابة. اندهش آرثر أيما دهشة حتى إنه تخلى هو الآخر عن حيطته، وعندئذ غافله بيلينوري بضربة بدوره، وكان سيقضي عليه أيضًا لولا تدخل ميرلين وإنقاذ حياته، وإبعاد الملك المصاب عن ميدان المعركة.

الفصل الثاني

أخذ ميرلين آرثر إلى بقعة من الغابة حيث يعيش قديس معروف بقدرته على الشفاء. أنزل ميرلين والقديس معًا آرثر برفق عن الجواد، وغسلا جروحه بماء نقي، ووضعاه على أريكة وثيرة محشوة بطحلب الأشنة كي يستريح.

وفي اليوم التالي استقبل القديس زوارًا آخرين هم الليدي جوينيفير من كاميليارد وحاشيتها، وكان بصحبتهم أيضًا رجل مُصاب. ولمّا علمت جوينيفير بشأن الفارس المصاب، طلبت أن تقابله، إذ كان معها وسط رجال حاشيتها طبيب بالغ المهارة متخصص في تطبيب جروح الفرسان المصابين في المعارك.

وعندما أدخلوا جوينيفير إلى جانب آرثر، بدا لها أنها لم تر في حياتها فارسًا بهذا النبل. وما إن رفع آرثر عينيه ورآها، حتى بدا له أنه لم ير في حياته ملاكًا بهذا الجمال. ولم تقدم الليدي جوينيفير إلى آرثر المعالج الشهير فحسب، وإنما أيضًا قدمت له صندوقًا مليئًا بالدهان المخفف للألم ليساعد في شفاء جسده المجروح. واضطرت جوينيفير أن تغادر بعدها مباشرة، لكن زيارتها حققت النتيجة المرجوة؛ فقد امتلأ قلب آرثر بالفرح، وفي غضون ثلاثة أيام شُفي شفاء تامًّا.

أقسم آرثر أنه لن ينسى ما حيا جوينيفير، كما لن ينسى أيضًا معركته التي لم تُحسم بعد مع الملك بيلينوري؛ فقد كان مقتنعًا تمامًا أن الأمور كانت ستسير بطريقة مختلفة لو لم ينكسر سيفه. لذا أراد أن يحاول مرة ثانية، لكن المعركة سلبته كل أسلحته.

أخبر ميرلين آرثر عن مكان سحري هو «بحيرة إنتشانتمنت»؛ ففي منتصف البحيرة بالضبط، كانت تُرى عادة ذراع امرأة شاهرة أجمل سيف في العالم وأكثر السيوف لمعانًا، وهو أروع كثيرًا من السيف الذي انتزعه آرثر من السندان، ويُعرف هذا السيف باسم سيف «إكسكاليبور». وقد غرق كثير من الفرسان لدى محاولتهم الحصول عليه.

قال آرثر: «أريد المحاولة.» وشرع الرجلان في رحلتهما، وبعد طول سفر عثرا على البحيرة التي كانت تحوطها الزنابق والنرجس. وعلى الفور تقريبًا خرجت ذراع امرأة من الماء شاهرة أروع سيف رآه آرثر في حياته. كان مصنوعًا من الذهب الخالص ومرصعًا بالكثير من الجواهر الجميلة.

وعندئذ اقتربت منهما جنية. كان شعرها الحالك السواد طويلًا للغاية، حتى إنه كان يمسح الأرض وهي سائرة. نزل آرثر عن جواده ليحييها، وقد عرف أنها «نيمو» كبيرة سيدات البحيرة. ولأنها استشعرت بشيء طيب في آرثر، أفشت إليه بسر؛ فقد صنعت البحيرة هي وبقية السيدات لإخفاء القلعة الجميلة الكائنة في أعماق البحيرة عن أعين البشر، كما أخبرت آرثر بأنه ثمة طريقة واحدة تمكن المرء من عبور البحيرة دون أن يموت.

فسألها آرثر: «هلا عرفتني هذه الطريقة؟»

ردت نيمو: «لا يمكن أن يحصل أي إنسان على هذا السيف، إلا شخصًا فوق الملامة والخوف.»

أطلق آرثر تنهيدة ضيق، فمع أنه حاول دائمًا أن يكون شجاعًا، فإنه عادة يلوم نفسه. ومع ذلك أخبر نيمو أنه يريد المحاولة. وكان هذا هو كل ما تحتاج نيمو أن تسمعه. ظن آرثر أنه لا بد أن يسبح، لكن نيمو نفخت في صافرة، فظهر قارب سحري على الشاطئ. أخذ القارب آرثر إلى منتصف البحيرة، وهناك استطاع أن يمد يده ويأخذ السيف الذي لم يستطع أي فارس قبله أن يلمسه. وهكذا صار «إكسكاليبور» له.

وبهذا السيف العظيم رجع آرثر إلى الجسر الحجري وهزم الملك بيلينوري دون حتى أن يُصاب بخدش واحد. وقرب نهاية القتال، ترجى الملك بيلينوري آرثر كي يصفح عنه، ووعد بأن يسلم نفسه إذا لم يقتله.

قرر آرثر ألا يصفح عنه فحسب، وإنما أن يرد له سلطته أيضًا، ومقابل هذا، طلب آرثر من بيلينوري أن يسلم اثنين من أبنائه هما: سير أجلافال وسير لاموراك، رهينتين لحفظ السلام. وبالفعل انضم الولدان لاحقًا إلى آرثر ليصيرا فارسين ذائعي الصيت.

وفي طريق عودتهما إلى الوطن، جاهر ميرلين العراف الملك آرثر بأن غمد السيف «إكسكاليبور» سحري تمامًا مثل السيف نفسه، ومن يرتديه لا يُصاب بأي جروح في المعركة. غضب آرثر لدى معرفة هذا، إذ شعر أن هذه الحقيقة سلبته كل مجد قتاله مع بيلينوري.

غير أن ميرلين ذكره بلطف أنه ليس فارسًا عظيمًا فحسب، بل ملكًا عظيمًا أيضًا، وحياته ومستقبله يخصان شعبه، ومن ثم لا يجدر به أن يقوم بمجازفات لا ضرورة لها.

تفهم آرثر الأمر وأقسم أن يحمي السيف وغمده، إلى أن فقد الغمد على إثر خدعة من شخص كان من المفترض أن يكون بحق أعز صديق له. لكن تلك قصة لم يحن بعد وقت سردها.

الجزء الثالث

الفوز بملكة

الفصل الأول

في يوم من الأيام، وفيما كان آرثر يقيم وليمة فخمة وكل رجال حاشيته العظيمة حوله، جاء رسول من غرب البلاد. صاح الرسول وهو يلهث: «سيدي، جئت محملًا برسالة لك من الملك ليوديجرانس، ملك كاميليارد؛ الملك رينس ملك شمال ويلز يطالبه بمطالب مزعجة ويهدده بشن الحرب. إنه بحاجة إلى عونك.»

سأله الملك آرثر: «وما هي مطالب رينس؟»

رد الرسول: «هو يريد الأرض، كما يرغب في تزويج الليدي جوينيفير بنت الملك لدوق موردونت، دوق شمال آمبر.»

ارتج البلاط بأكمله لدى سماع هذا، إذ كان معلومًا لدى الجميع أن الدوق موردونت رجل قبيح وحشي الطباع.

اشتد غضب الملك آرثر، ولمّا تذكر كيف هلّت عليه جوينيفير كالملاك فيما كان مُلقى جريحًا في الغابة، أقسم أن يساعدها هي ووالدها. وفي اليوم التالي شق طريقه هو وميرلين نحو كاميليارد، وبرفقتهما الفرسان سير جيواين، وسير إيواين، وسير بيلياس، وسير جيراينت.

وفيما كان الملك وميرلين بمفردهما، صرح له بمشاعره نحو ليدي جوينيفير، وطلب منه أن يساعده على التنكر حتى يتسنى له أن يراها في الخفاء، كما أراد أيضًا أن يكتشف الخطر الذي تجابهه المملكة دون أن يراه أحد. أعطى ميرلين الملك آرثر قبعة، عندما يضعها على رأسه يتحول الملك إلى صبي ريفي. وبعد أن ارتدى آرثر القبعة، سُرعان ما عُين هذا الصبي الريفي البسيط بستانيًّا في قلعة ليدي جوينيفير.

كانت ليدي جوينيفير تسير في الحديقة كل يوم، لكنها لم تكن ترى سوى البستاني الصغير الذي عُين مؤخرًا يعمل وسط الأزهار. وبعدما أضنى آرثر نفسه في العمل، أراد

أن يغسل وجهه في نافورة الحديقة، وكانت النافورة تقع في بقعة محجوبة عن الأنظار حيث ظن آرثر أن لن يراه أحد.

ولم يكن ظنه في محله. فقد رأته من نافذة القلعة إحدى جواري جوينيفير التي تُدعى ميليسين من «وايت هاند». لم تر آرثر وهو ينزع القبعة، وإنما ما رأته هو فارس وسيم يرتدي ياقة ملكية ذهبية ويغسل وجهه. ركضت ميليسين إلى الحديقة كي تتحقق من الأمر، لكن آرثر سمع وقع خطواتها فارتدى قبعته سريعًا.

وعندما سألت البستاني الصغير عن الفارس الذي رأته عند النافورة، أجابها آرثر بكل احترام أنه كان بمفرده هناك على مدار الساعة المنصرمة، وقال لها: «لا بد أنكِ كنتِ تحلمين.»

قالت لها جوينيفير نفس الشيء، وبدأت ميليسين تظن أنها كانت تحلم. لكن بعد مرور أيام معدودة، نظرت من نافذتها في الصباح أيضًا وإذ بالفارس الوسيم عند النافورة مرة أخرى، فأسرعت وأيقظت جوينيفير.

أطلت جوينيفير من النافذة بعينيها الناعستين — لكن غير الحالمتين — فرأت الفارس بدورها. ارتدت جوينيفير ملابسها في عجالة، وأخذت ميليسين معها ونزلت إلى الحديقة.

لكنهما سارتا هذه المرة في هدوء، ولم يسمعهما آرثر حتى اللحظة الأخيرة. ومع أنه كان لديه الوقت لارتداء قبعته السحرية مرة أخرى، فقد أدرك بعد فوات الأوان أن ياقته الذهبية ما زالت ملقاة بعيدًا على العشب. وعندما قال لهما إنه لم يقترب أحد من النافورة سواه على مدار الساعة المنصرمة، أدركت جوينيفير أنه يكذب.

قالت له جوينيفير: «خذ هذه الياقة، وأعدها إلى الفارس الذي أوقعها، وأخبره أنه ليس من أخلاق الفرسان أن يختبئوا في حدائق السيدات.» ثم عادت هي وميليسين إلى القلعة. غير أنه عندما وصلت جوينيفير غرفتها راودتها فكرة، فطلبت من ميليسين أن تذهب وتأمر البستاني أن يحضر لها سبتًا من الورود.

وعندما دخل آرثر المتنكر حاملًا الورود، شهقت كل جواري جوينيفير لأنه ظل مرتديًا قبعته بكل وقاحة. فقال آرثر: «لا أستطيع أن أنزع قبعتي، فـ ... فلدي بقعة قبيحة في رأسي.»

بدا وكأنما جوينيفير قد قبلت عذره، لكن عندما انحنى آرثر كي يعطيها الورود، مدت يدها وخطفت قبعته، فانكشف آرثر بكل بهائه البراق. ولم يعلم أي من الحضور

أنهم كانوا في حضرة الملك آرثر العظيم، لكن جوينيفير تذكرت أن هذا هو الفارس الجريح الذي قابلته في الغابة.

كانت جوينيفير أبية النفس فلم تشأ أن تضعف أمام فارس كذب عليها مهما كان وسيمًا. وأقسمت أنها سوف تحميه وأمرت جميع من شاهدوا السحر أن يكتموا سره. لكنها قررت أن تعامله في تلك اللحظة بتعالٍ وتعرفه مقامه.

قالت في برود: «خذ قبعتك، وعد إلى ورودك أيها الولد البستاني.» قهقهت وصيفاتها، وعندئذ صرفته. وارتدى آرثر قبعته في احترام وانحنى في تواضع ثم رحل.

في اليوم التالي، جاء رسول إلى الملك ليوديجرانس يحمل بعض الأخبار؛ الملك رينس — الذي لا يزال يطالب بالأرض ويتوعد بالحرب — في الطريق ومعه الدوق موردونت الذي لا يزال يطالب بالزواج من الليدي جوينيفير.

وفي محاولة من الملك ليوديجرانس لتجنب الحرب، استقبلهما استقبال الأصدقاء لدى وصولهما الحدود الخارجية للمملكة، غير أنهما رفضا الدخول. ولمّا أحضرا معهما زمرة كبيرة من الفرسان واللوردات، قررا أن يخيما هناك في مكانهما خارج أسوار القلعة. وأخبرا الملك ليوديجرانس أنهما سوف يمكثان هناك مدة خمسة أيام، وإذا لم تتزوج جوينيفير من موردونت في خلال هذه المهلة، فسوف يعتبران ليوديجرانس عدوهما ويشنان الحرب عليه.

ومع أنهما أعطياه مهلة خمسة أيام، أعلن موردونت عن ملله بعد خمس دقائق فحسب. ولمّا ظن أن الليدي جوينيفير ربما كانت تشاهده، وأراد أن يستعرض أمامها، أعلن عن رغبته في مبارزة أي فارس في البلاط. تباهى الدوق، وأخذ يذرع الساحة أمام القلعة جيئة وذهابًا وهو يصيح: «هيا الآن، ألا يوجد أي شخص يستطيع أن يبارزني؟»

لم يجرؤ أحد على الخروج من مكمنه، فمهما يكن، هذا دوق موردونت، دوق شمال آمبر، وأحد أشهر فرسان عصره. وصراحة، لم يكن هناك أي شخص في البلاط المتواضع للملك ليوديجرانس يستطيع أن يبارزه. لا أحد سوى بستاني صغير بسيط.

غير أنه كان لا بد أن يجد آرثر درعًا قبل أن يفعل أي شيء، وبالفعل أمده تاجر طيب في المدينة بجواد حرب أبيض أصيل، وبدلة بيضاء رائعة من الساتان الإسباني، ودرع. وعندما عاد آرثر إلى القلعة، متسربلًا ببدلة بيضاء بالكامل هكذا، لم يعرفه أحد. لكنهم قطعًا التفتوا لينظروا إليه وهو يمر بهم، فقد كان يظهر عليه النبل بوضوح الشديد!

كانت أولى محطاته هي قلعة الليدي جوينيفير حيث أخبرها أنه على وشك أن يقاتل باسمها، ثم طلب منها تذكارًا ليحمله معه، فأعطته جوينيفير عقد اللؤلؤ الذي كانت تتقلده حول عنقها. لف آرثر العقد حول ذراعه ثم رحل.

لم يتعرف الدوق موردونت على آرثر أيضًا، لأنه لم يكن هناك أي شعار على الدرع الأبيض الذي استعاره يشير إلى هويته. ولمّا أُلقي عن صهوة جواده على إثر إصابة رمح آرثر الماهر لترسه، لم يعرف موردونت ما الذي ضربه. وبعدها رقد ساكنًا منقطع الأنفاس زهاء الساعتين.

الفصل الثاني

فيما كان آرثر ينتظر موردونت حتى يفيق، قرر أن يأخذ جولة في الغابة. وهناك وجد فارسًا يغني لثلاث سيدات في أحد الأبراج، وعندما اقترب أكثر، عرف أن هذا المغني لم يكن سوى سير جيراينت، أحد الفرسان الذين أحضرهم معه إلى كاميليارد.

غير أن جيراينت لم يعرف آرثر ومن ثم تحداه للدخول معه في مبارزة ودية لإظهار البراعة. وفي حقيقة الأمر، راهن جيراينت آرثر على أن الفتيات اللاتي يشاهدنهما هن أجمل من الفتاة التي يحبها آرثر. أخبر آرثر جيراينت أن فتاته هي أجمل فتاة في العالم، ومن ثم قبل التحدي. واتفق الرجلان على أن من يخسر المبارزة فإنه يخدم فتاة الآخر (أو الثلاث فتيات في حال فاز جيراينت) مدة سبعة أيام.

كان جيراينت فارسًا بارعًا، غير أنه بالطبع لا يضارع الملك آرثر العظيم، وسرعان ما انهزم أمامه. ساعد آرثر الفارس المشدوه على النهوض على قدميه وأخبره أن يشق طريقه إلى جوينيفير، ويخبرها أنه انهزم أمام الفارس الذي أعطته عقد اللؤلؤ الخاص بها. وأطاع جيراينت، الذي كان رجلًا صادق الوعد.

وعندما واصل آرثر مسيرته في الغابة، التقى أيضًا الفرسان الثلاثة الآخرين الذين أحضرهم معه. كان جيواين وإيواين معًا، وسير بيلياس وراءهما. وعلى غرار جيراينت، تحدى الفرسان الثلاثة الرجل الذي لم يعرفوا أنه الملك آرثر في مبارزات إظهار لمهارات الفروسية. وعلى غرار جيراينت أيضًا، أدى الفرسان الثلاثة أداءً بارعًا غير أنهم انهزموا أمام آرثر الذي أرسلهم أيضًا لخدمة جوينيفير محملين بنفس الرسالة التي مفادها أنهم انهزموا على شرفها أمام الفارس الذي أعطته عقد اللؤلؤ الخاص بها.

وعندما وصل الفرسان الأربعة إلى كاميليارد وأدركوا أنهم جابهوا نفس المصير على يد الفارس الأبيض، تملكهم الخجل الشديد حتى إنهم لم يجرءوا على النظر بعضهم إلى

بعض. بيد أنه عندما رأت جوينيفير الفرسان الأربعة الذين هزمهم فارسها الغامض، ابتسمت في زهو وسعادة لأنها أعطت تذكار حب لمثل هذا الرجل العظيم.

ارتدى آرثر قبعته السحرية مرة أخرى بعد أن خبأ جواده ودرعه الأبيضين اللذين استعارهما في مكان آمن في الغابة، ثم عاد إلى كاميليارد. وهناك وجد نفسه في محنة؛ فقد كان رئيسه في العمل، كبير البستانيين، مستاء للغاية من آرثر بسبب اختفائه، في حين يوجد الكثير من العمل ليقوم به. جذب البستاني آرثر من ياقته وعنفه بشدة وتوعده بالضرب بالهراوة التي يمسكها.

جاشت روح آرثر الملكية بداخله ودفع كبير البستانيين في عنف بعيدًا عنه وانتزع منه هراوته. فذهب كبير البستانيين لتوه إلى الليدي جوينيفير يشكو لها.

بدت جوينيفير مستمتعة أكثر منها غاضبة. كانت تحدث نفسها أنه من الغريب أن يختفي البستاني الصغير في الوقت نفسه الذي يوجد فيه البطل الأبيض، وعندما يعود البستاني الصغير يختفي البطل الأبيض مرة أخرى. لم تكن واثقة من هذا الأمر، لكنها فكرت أنها ستكون مصادفة عجيبة أن يصل البستاني الصبي والبطل الأبيض إلى المملكة في نفس الوقت. وتساءلت هل يمكن ألا يكونا نفس الشخص، وقالت لنفسها باسمة: «أرجو أن يكونا نفس الشخص.»

لكنها توقفت عن الابتسام بعد وقت قليل. ففي اليوم التالي عاد الدوق موردونت. فبعد أن تعافى من جولة المبارزة الأولى مع الفارس الأبيض، عاد يحمل مطالب جديدة. قال إن هزيمته من قبل ما هي إلا حادثة وحظ سيئ، وسيعود في الغد ومعه ستة فرسان من أجل مبارزة جديدة، وبمقدور الملك ليوديجرانس أن يحضر سبعة فرسان أيضًا للمنافسة. وإذا فاز فرسان ليوديجرانس فسيتنازل موردونت عن مطالبه، على أنه إذا انهزم فرسان ليوديجرانس، فلن تكون جوينيفير وحدها له وإنما كل مملكة ليوديجرانس.

صار الملك ليوديجرانس في حيرة من أمره، فحتى إن استطاع أن يصل إلى البطل الأبيض، فلا يوجد فرسان آخرون لمساعدته. قطعًا لن يستطيع أن يتبارى وحده مع موردونت وستة رجال آخرين.

استدعت جوينيفير — التي كانت تمر بالقرب من والدها وسمعته مصادفة — فرسانها الأربعة، وطلبت منهم قبول مبارزة الدوق موردونت. وما أثار دهشتها أن سير جيواين رفض.

قال سير جيواين بوقاحة: «لقد تعهدنا بخدمتك وليس خدمة والدك. لن ندخل في عراك مع الدوق موردونت. وفي نهاية المطاف، نحن نخدم الملك آرثر ولا يمكننا أن نشترك في مثل هذا القتال إلا بناء على أمره.»

احمر وجه الليدي جوينيفير غضبًا وقالت: «لعلك خائف من مبارزة الدوق موردونت.»

عندئذ احمر وجه جيواين غضبًا أيضًا، وقال بصوت منخفض قبل أن يستدير ويرحل من أمامها: «من حسن حظك أنكِ امرأة.»

رحلت جوينيفير أيضًا، وفي طريق عودتها إلى قلعتها صادفت شخصًا ما. لقد كان كبير البستانيين الذي كان يحمل رسالة لها.

قال البستاني في ذهول: «الصبي الذي يعمل لدي تخطى حدود اللياقة إلى أقصى درجة، وتطاول للغاية حتى إنه أرسلني بأمر لكِ الآن.»

سألته جوينيفير: «أمر؟ أمر لي من البستاني الصغير؟»

أخرج الرجل عقد اللؤلؤ من جيبه ثم أومأ برأسه وقال: «أجل. بعد أن أعطاني هذا العقد لكِ، أمر أن تعدي له وليمة عظيمة ثم ترسلي الفرسان الأربعة كي يقدموا له الطعام في أطباق من فضة.» وهز كبير البستانيين رأسه وأردف: «قطعًا ستعاقبينه الآن، أليس كذلك؟»

لكن جوينيفير عرفت أن هذا هو نفس عقد اللؤلؤ الذي أعطته للبطل الأبيض، فردت: «كلا. سأفعل ما أمر به.»

كان سير جيواين مستاءً للغاية. قال للفرسان الآخرين في غضب: «إنها تعاقبنا لرفض مطلبها الأول. حسنًا، سنفعل ما طلبت، لكن بمجرد أن نبدأ خدمة البستاني الصبي، لن نعود في خدمتها بعد ذلك؛ فالوعد الذي قطعناه بأن نخدمها سينتقل إلى البستاني بناء على طلبها!»

وما أثار ذهول الفرسان هو أن الصبي البستاني كان يشعر بالثقة في وجودهم، فبدلًا من أن يبدو مرتاعًا، كان يتصرف كما لو كان يظن نفسه أفضل منهم. بل وعندما فرغ من تناول الطعام اتكأ إلى الوراء وبكل ثقة أعطاهم أمرًا آخر؛ فقد أمرهم أن يرتدوا زي قتال متكاملًا، وأن يتبعوه إلى معركة.

حذره جيواين قائلًا: «حذار وإلا سأعاقبك.»

لم يكن من الصبي البستاني إلا أن ابتسم وقال له: «لا أظن ذلك.» وعندئذ نزع عنه قبعته السحرية وكشف عن هويته الحقيقية.

قهقه الفرسان الأربعة بقوة وانحنوا أمام مليكهم. غير أنهم نهضوا بعد دقائق معدودات، فثمة معركة سيخوضونها!

الفصل الثالث

في الصباح التالي، شاهد الملك ليوديجرانس — عاجزًا — وصول الدوق موردونت وبصحبته ستة فرسان واعدين، والعديد من الرسل وحاملي الدروع. واحتشد جمع من الناس لمشاهدة المعركة العظيمة.

لكن ليوديجرانس كان يحدث نفسه بأنها لا يمكن أن تكون معركة عظيمة وهو لا يملك أي فرسان لمبارزة رجال دوق شمال آمبر. لقد اعتاد أن يكون عنده فرسان في بلاطه منذ زمن طويل، لكن منذ أن أمسك الملك آرثر بزمام الحكم وعمّ الأرض السلام، والفرسان قد رحلوا إلى حيث هناك احتياج لهم.

ولمّا رأت الليدي جوينيفير والدها هكذا، حثته على ألا يفقد الأمل؛ فبطريقة ما، لديها شعور بأن …

في اللحظة التالية مباشرة، شاهد الجميع الفارس الأبيض الغامض وهو يعود إلى المدينة، ووراءه في منظر رائع الفرسان المشاهير الأربعة — سير جيواين، وإيواين، وجيراينت، وبيلياس — الذين يعرفهم الجميع بالفعل.

همست جوينيفير: «لقد نجونا.» وكأنهم قد سمعوها، رفع الملك آرثر والفرسان الأربعة مناديلهم في تحية لها وهم مارون تحت برجها.

قال دوق شمال آمبر في توتر: «لقد أعطيت هذا الفارس الأبيض شرف أن قاتلته من قبل دون أن أعرف اسمه أو منصبه. لكن هذه معركة أكثر جدية، فإذا أراد أن يقاتلني، فليكشف عن هويته!»

قال سير جيواين مؤكدًا: «هو ليس بارعًا فحسب بالدرجة التي تمكنه من قتالك، وإنما أؤكد لك أنه هو من أعطاك شرف قتاله.»

حاول الدوق مرة أخرى التنصل من القتال فقال: «حسنًا، أنتم خمسة رجال فحسب، فلن تقووا على سبعتنا، لذا لن أحاربك!»

قال جيواين: «من فضلك، ثق في حينما أقول لك إن خمستنا هم خصم مكافئ لسبعتكم.»

احمر وجه الدوق موردونت خجلًا، وبدأ القتال الذي انتهى سريعًا جدًّا. وكما أكد سير جيواين كان الخمسة أقوى من السبعة. انهزم موردونت ومات في واحدة من أشهر المعارك في تاريخ حكم الملك آرثر.

وتهلل شعب كاميليارد واحتفلوا بانتصارهم العظيم، وأرادوا أن يحتفوا بالفارس الأبيض، لكنه اختفى مرة أخرى تاركًا لهم الفرسان الأربعة ليهنئوهم.

غير أنه في الصباح التالي بدا أنهم جميعًا احتفلوا مبكرًا جدًّا. فبدلًا من أن يستسلم الملك رينس، زوّد مطالبه. ففي رسالة بعث بها مع أحد الرسل لم يأمر الملك ليوديجرانس بتسليم الأرض فحسب وإنما أيضًا أن يسلم الفارس الأبيض الذي قتل الدوق موردونت.

وجاء رد الملك ليوديجرانس بفخر بالغ إذ قال: «أخبر ملكك أنني لن أسلمه ورقة عشب واحدة من أرضي، ولن أسلمه الفارس الأبيض، حتى لو كنت أعرف من هو هذا الفارس!»

وتنهد الرسول؛ فمن الواضح أن الملك رينس كان قد توقع هذا الرد لأن الجزء التالي من الرسالة كان يفيد بأن الملك رينس سيأتي قريبًا ومعه جيش عظيم للاستيلاء على ما أراده بالقوة.

استدعى الملك ليوديجرانس جوينيفير وقال: «لقد أنقذنا البطل الأبيض العظيم مرتين حتى الآن. يقول الناس إن هذا البطل هو المحارب الخاص بكِ وأنه كان يرتدي العقد الخاص بكِ أثناء القتال. هل هذا صحيح؟»

احمر وجه جوينيفير وأومأت برأسها إيجابًا.

قال ليوديجرانس: «إذن، أرجوكِ يا ابنتي أخبريني، أين نجده؟ نحن في حاجة إلى مساعدته مرة أخرى! وها أنتِ قد بلغتِ سن الزواج وفي حاجة إلى زوج؛ شخص يحمي مملكتنا من أعدائها!»

قالت جوينيفير: «أبي، سوف أقودك إلى الرجل الوحيد الذي له علاقة بكل ما أعرفه.» وعندئذ أخذت والدها إلى الصبي البستاني مباشرة.

سألها الملك ليوديجرانس وقد تجمع حولهما أيضًا الفرسان العظماء الأربعة: «ما هذا يا ابنتي؟ هل تهزئين بي؟ هل هذه مزحة؟»

طلبت جوينيفير من الصبي البستاني أن ينزع قبعته. ونزع آرثر قبعته، فعرفه الملك ليوديجرانس على الفور وناداه باسمه. انحنت جوينيفير في رهبة فهي لم تكن تعرف أن الفارس الذهبي الذي رأته هو نفسه الملك آرثر. يا للهول! لقد تذكرت جوينيفير في الحال الطريقة التي كلمته بها وكيف سخرت منه!

غير أن آرثر أوقفها منتصبة وأخبرها أنه يحبها، وسألها هل تبادله الحب أيضًا أم لا. (أخبرته أنها أيضًا تحبه)، فقبلها آرثر، (وقبلته هي أيضًا). وشن الملك رينس الحرب التي توعد بها، غير أنه لم يكن ليصل إلى قوة الملك آرثر ورجاله. وبعدها بوقت قليل، وضع كل من آرثر وجوينيفير خطط زواجهما.

أعطى الملك ليوديجرانس هدية زواج للملك آرثر، وبناء على اقتراح من ميرلين، كانت الهدية قطعة أثاث مميزة للغاية؛ وهي الطاولة المستديرة التي كانت قد صُنعت أصلًا من أجل والد آرثر، وهي عبارة عن طاولة مستديرة هائلة الحجم تضم خمسين مقعدًا. ومن سمات هذه الطاولة أنه عندما يظهر الفارس المناسب ويأخذ مقعده حولها، يظهر اسمه محفورًا بالذهب على مقعده بطريقة سحرية، وعندما يتوفى هذا الفارس تختفي حروف اسمه الذهبية في الحال.

وأخبر ميرلين آرثر أن ثمة مقعدًا وسط هذه الخمسين، مقعدًا مختلفًا عن الباقين؛ وهذا المقعد معروف باسم «المقعد المحفوف بالخطر»، وقد سُمي بهذا الاسم لأنه إذا جلس عليه أي فارس آخر بخلاف هذا الفارس الحقيقي الذي وُضع من أجله، فإنه يموت ميتة مفاجئة وعنيفة.

وعندما مات الملك يوثر بيندراجون، ترك هذه الطاولة لصديقه الملك ليوديجرانس. وقد جلس عدد قليل من الفرسان حول هذه المائدة بعض الوقت، لكن كل الفرسان رحلوا مؤخرًا، فأُبعدت هذه المائدة العظيمة إلى الطابق السفلي، بلا استخدام لأنه لا حاجة إليها.

أكد ميرلين: «هذه الطاولة ستزيد بهاء ملكك، ولن ينسى الناس اسمك أبدًا.» ولمّا سمع آرثر هذه الكلمات من ميرلين استدارت عيناه من فرط الحماس كاستدارة الطاولة؛ فالطاولة والمجد العظيم سيكونان من نصيبه.

خاتمة

تزوج الملك آرثر والليدي جوينيفير في يوم رائع من أيام فصل الخريف في احتفال بالغ الفخامة؛ فقد زُينت المملكة بزينة جميلة كأنما العالم كله يتلألأ بالألوان الزاهية. ولمّا أعلنهم رئيس أساقفة كانتربيري زوجًا وزوجةً، قُرعت الأجراس في كل أنحاء البلاد. وكان الملك والملكة يشعان بهاءً كما الشمس والقمر.

وفي هذا اليوم أيضًا، ملأ ميرلين مقاعد الطاولة المستديرة رسميًّا. فقد استخدم ميرلين سحره تارة ومهارته تارة أخرى في إحضار الطاولة من الدور السفلي، وبناء سرادق حولها ليحفظ قطعة الأثاث الشهيرة، وصناعة أسوار السرادق من الذهب وزخرفتها بأشكال القديسين والملائكة. وقد صنع في السقف لوحة بدت كالسماء الزرقاء المليئة بالنجوم، وصنع تحت أرجل الفرسان أرضية رائعة من أفضل أنواع الرخام.

كان آرثر على وشك أن يجلس على المقعد «المحفوف بالخطر»، لكن ميرلين أمسكه عن فعل هذا، وقال: «كلا يا مولاي. لا يوجد سوى رجل واحد على وجه الأرض هو الذي يستطيع أن يجلس على هذا المقعد، وهذا الرجل لم يُولد بعد. وأشار ميرلين إلى آرثر كي يجلس على المقعد المواجه بالضبط للمقعد «المحفوف بالخطر»؛ المقعد الذي كان جميلًا أيضًا، فقد كان أطول من سائر المقاعد ومزخرفًا بنقوش أروع منها جميعها. قال ميرلين: «انظر أيها الملك، هذا هو المقعد الملكي، الذي يعتبر المقعد المركزي، لأنك أنت بحق مركز كل ما هو جدير بالفروسية الحقيقية.»

وفيما جلس آرثر، ظهرت حروف من ذهب كما لو كانت قد حُفرت في الحال في المقعد: «الملك آرثر».

شعر آرثر بالحماس الشديد. فصفق بيديه ليدعو الفرسان العظام الكثيرين الذين دعاهم ضيوفًا لحضور عرسه ليلتفوا حول طاولته الرائعة والأنيقة.

غير أن ميرلين نهاه مرة أخرى، وقال برفق: «لا يا مولاي. فمع أنك دعوت أنبل فرسان في العالم، فلن تمتلئ طاولتك بالتمام اليوم.» غير أن ميرلين أكد لآرثر أن طاولته ستمتلئ قريبًا جدًّا. سار ميرلين وسط المدعوين واختار اثنين وثلاثين فارسًا فحسب ممن يستحقون نيل هذا الشرف حتى الآن. فكان من بين من اختارهم سير بيلينوري، وسير جيواين، وسير إيواين، وسير أولفيوس. ولكي يحفظ وعد آرثر لوالده أيضًا، اختار سير كاي. ملأ ميرلين الاثنين والثلاثين مقعدًا سريعًا.

وبعد ذلك، تمكن ميرلين أن يملأ معظم المقاعد المتبقية. غير أن المقعد الذي عن يمين الملك آرثر ظل شاغرًا، وكذلك المقعد «المحفوف بالخطر».

نصح ميرلين الملك قائلًا: «كن صبورًا يا مولاي. سيأتي صاحبا هذين المقعدين في التوقيت المناسب، ولسوف يكونان أعظم فارسين في العالم.»

وعندئذ، بعد أن كادت الطاولة تمتلئ، نهض كل الفرسان، وشهروا سيوفهم، وتلوا في تناغم مهيب الكلمات التي ستصير فيما بعد شعار فرسان الطاولة المستديرة: «نحن فرسان الطاولة المستديرة، سنترفق بالضعيف، ونتعامل بحسم مع القوي، وبوحشية مع الشرير. سندافع عن العاجز، ونصون جميع النساء كالمقدسات، ونرحم جميع الرجال، ويدافع بعضنا عن بعض ويؤازر بعضنا بعضًا حتى النهاية.»

وأقسم كل رجل على صدق تعهده، ثم قبل نصل سيفه كي يختم قسمه. وكانت هذه قصة نشأة الطاولة المستديرة.

كتاب ثلاثة من النبلاء

مقدمة

قد تسأل ما المقصود بالنبلاء؟ سؤال جيد. النبلاء هم ثلاثة من اللوردات المميزين والموقرين للغاية في بلاط الملك آرثر، وهم: الحكيم ميرلين، وسير بيلياس، وسير جيواين، وفي هذا الكتاب سنتناول قصة كل فرد منهم، واحدة تلو الأخرى.

الجزء الأول

قصة ميرلين

الفصل الأول

أتينا بالفعل على ذكر ميرلين بصفته عونًا ومغيثًا للملك آرثر. لكن ميرلين نفسه له قصة أيضًا، قصة رجل شديد الحكمة، لكنه مع ذلك شديد الضعف أيضًا، حتى إنه ينخدع هو نفسه في نهاية الأمر. أنصت كيف حدث هذا وتعلم منه.

في إحدى المعارك الطويلة والخطيرة مع خمسة ملوك، فقد آرثر ثمانية فرسان عظماء. وبعد فترة من الحزن، اضطر آرثر أن يختار ثمانية رجال آخرين ليملئوا المقاعد الثمانية في الطاولة المستديرة.

عقد آرثر العزم على أن يختار أربعة فرسان قدماء مهرة، وأربعة فرسان جدد، وهكذا سار الأمر إلى أن تبقى مقعد واحد، واحتار بين فارسين على هذا المقعد؛ سير تور ابن سير بيلينوري، وسير بوديماجوس ابن أخته غير الشقيقة مورجانا لي فاي. وبعد كثير من التروي وإنعام النظر، خلص آرثر إلى أن أعمال سير تور العظيمة في الفروسية جعلته أجدر بالمقعد.

وعند سماع هذا الخبر، وثبت مورجانا لي فاي من على مقعد قريب كانت تجلس عليه وصرخت: «ماذا؟ أتؤثر سير تور على سير بوديماجوس ابني، ابن أختك؟»

اعتذر آرثر، غير أنه لم يتراجع عن قراره، فقد شعر أن هذا هو القرار الصائب. غير أن مورجانا لي فاي وبوديماجوس ظلَّا مستاءين وغادرا المملكة. رحل بوديماجوس سعيًا وراء مغامرات مختلفة وذهبت مورجانا لي فاي سعيًا للثأر من بعيد.

وإذ كان آرثر لا يعرف ما تضمره له أخته غير الشقيقة، ودعها وداعًا لائقًا إلى جزيرة أفالون. وكانت مورجانا تملك قوى سحرية معينة، كان قد علمها إياها ميرلين عندما كانت لا تزال فتاة صغيرة جميلة. شيء واحد لم يعلمها إياه، هو كيف تعرف

المستقبل. غير أنها كانت على يقين من أنها لن تستطيع أن تثأر من آرثر ما دام ميرلين موجودًا.

لكن مورجانا لي فاي دبرت خطة؛ فقد عثرت على فتاة جميلة اسمها فيفيان لا يعرف قلبها الرحمة، فكانت باردة وقاسية تجاه كل أولئك الذين لا يرضخون لها. وكانت مورجانا تعلم أيضًا أن فيفيان تلتمس الحكمة بشغف شديد.

وعدتها مورجانا قائلة: «يمكنني أن أساعدك في امتلاك المعرفة التي تسعين وراءها.» وشرحت لها أن ميرلين، مع كل هذه القوى الخارقة التي يتمتع بها، فإن لديه نقطة ضعف كبيرة للغاية، ألا وهي عشقه للجمال. كما أفشت مورجانا أيضًا سر ميرلين الكبير؛ فمع أنه يستطيع أن يرى مستقبل أي شخص آخر، فهو لا يستطيع أن يرى مستقبل نفسه.

أقسمت فيفيان قائلة: «لأخدعنَّ ميرلين بجمالي! لأجعلنَّه يعلمني كل شيء! وعندما أملك كل حكمته وقوته السحرية، فسأسحره حتى يصبح عاجزًا.»

قالت مورجانا لي فاي: «يا لروعة هذا الشر!»

أرسلت مورجانا فيفيان ومعها سلاح خفي: خاتمان من شأنهما أن يوحدا قلبي من يرتديانهما إلى الأبد. ذهبت فيفيان إلى بلاط الملك آرثر وسط إحدى الحفلات، وبعد أن ارتدت خاتمًا من الخاتمين، قدمت الخاتم الآخر في صورة تحدٍّ؛ إذ قالت إن أحكم الرجال وأكثرهم أهمية هو وحده من يستطيع أن يرتدي الخاتم.

حاول الملك آرثر أولًا، لكن الخاتم انكمش عندما لمسه حتى إنه لم يدخل في طرف إصبعه. وحاول جميع الفرسان الآخرين بالمثل، لكن الحظ لم يحالف أيًّا منهم. وأخيرًا وقفت فيفيان أمام ميرلين، الرجل الوحيد في القاعة الذي لم يجرب الخاتم بعد.

كان ميرلين مرتابًا، غير أنه لا يستطيع رؤية المستقبل إذا كان يتعلق به شخصيًّا، وكانت فيفيان في غاية الجمال. جرب ميرلين الخاتم فوجد أنه مقاسه، فابتهج وشعر بالزهو. غير أنه عندما حاول أن يخلعه، علق في إصبعه كما لو كان الخاتم جزءًا لا يتجزأ من لحمه.

أدرك ميرلين في الحال أنه خُدِع. لكن المفعول السحري للخاتم بدأ يعمل سريعًا جدًّا حتى إنه نسي كل شيء باستثناء صِبا فيفيان وجمالها.

سألها ميرلين: «كيف أبرهن لكِ على حبي؟»

ردت فيفيان: «يمكنك أن تمنحني حكمتك وتعلمني سحرك.»

وهذا بالضبط ما فعله الساحر العجوز المريض بالحب.

استغرق الأمر وقتًا طويلًا، لكن فيفيان كانت صبورة. وأخيرًا تعلمت كل شيء يعرفه ميرلين، بما في ذلك كيفية بناء قلاع من لا شيء سوى الأرض والرياح والنار والسماء، ثم جعل كل هذا يختفي مرة أخرى بتلويحة من عصا سحرية.

وفي يوم من الأيام أحضرت فيفيان وجبة شهية لميرلين، ولم يدرك ميرلين أن الوجبة تحتوي على جرعة منوم قوية، فأكل وبدأ يشعر بنعاس شديد.

أدرك ميرلين مرة أخرى أنه خُدع، ولكن هذه المرة لم يستطع حبه لفيفيان أن يلهيه. وقبل أن يغط في النوم، طلب من فيفيان أن تذهب وتنقذ الملك آرثر من بعض الأخطار الآتية التي استطاع ميرلين أن يرى أنها وشيكة الحدوث. اجتاح فيفيان شعور غريب بالذنب لذا وعدته أنها سوف تذهب لإنقاذه، ظنًّا منها أن هذا قد يخفف من ذنبها، وراح ميرلين في النوم.

وما إن راح ميرلين في النوم وأصبح خائر القوى تمامًا، حتى سلبته فيفيان كل قوته، فقد نسجت شبكة فضية حوله، من ثم لم يستطع أن يحرك عضلة واحدة، حتى بعد أن أفاق من نومه. وابتسمت فيفيان فيما انتزع خدمها شعر لحية وشارب ميرلين. وأخيرًا، كي تتأكد من أن ميرلين سيظل في مكانه، وضعته في صندوق ضخم ثقيل ودفنته جزئيًّا وغطته بضباب سحري.

وهكذا كانت النهاية المخجلة لرجل عجوز شديد الحكمة ولكنه شديد الضعف أيضًا.

الفصل الثاني

في تلك الآونة عادت مورجانا لي فاي إلى بلاط الملك آرثر متظاهرة بالتواضع والندم تطلب العفو الأخوي. وعندئذ دار حوار ودي بينها وبين الملك آرثر حول سيف «إكسكاليبور».

قالت مورجانا: «أود أن ألقي عليه نظرة عن كثب أكثر من ذي قبل، أتسمح لي؟»

سار الملك آرثر نحو إكسكاليبور الذي كان موضوعًا في مكان يليق به في أحد الأركان، وأخذ السيف وغمده وسمح لمورجانا أن تتفرس فيهما. وذكرها — كما أُذكرك الآن عزيزي القارئ — أن النصل السحري لا مثيل له في القطع، وأن الغمد يصون من الجرح أي شخص يرتديه.

تنهدت مورجانا وقالت: «أوه يا أخي، إكسكاليبور غاية في الجمال، ولا يمكنني أن أتحمل أن أعيده بعد، أيمكنني أن آخذه معي إلى منزلي وأحتفظ به وقتًا قصيرًا فحسب حتى يمكنني أن أتأمل جماله وقتًا أطول؟»

تردد آرثر، غير أنه كان يشعر بالامتنان الشديد بسبب عودة علاقتهما الطيبة مرة أخرى حتى إنه وافق أخيرًا. لم يكن يعرف أن مورجانا المخادعة ما كانت ستأخذ السيف إلى منزلها للنظر إليه فقط، وإنما لتستأجر صائغين وصُناع دروع وجواهرجية لصناعة نسخة طبق الأصل من السيف. ولن يستطيع أحد سواها أن يكتشف الفرق بمجرد النظر إلى السيف.

وبعد ذلك بوقت قصير، عادت مرجانا إلى البلاط الملكي مرة أخرى. وبعد أن رحب بها الملك آرثر ترحيبًا حارًّا سألها عن إكسكاليبور.

قالت مورجانا: «لقد نسيت أن أحضره معي، إذ كان يتملكني الحماس الشديد من أجل الهدية الأخرى التي أحضرتها لك.» وأخبرته عن الجواد الأسود الجديد الجميل الذي ينتظره بالأسفل. ولما كان آرثر يخطط للخروج في رحلة صيد، كانت الهدية مناسبة

تمامًا. وبعد أن طلب من أخته أن تحضر السيف المرة القادمة، شكرها على الهدية وانطلق في رحلته.

كان الجواد سريعًا للغاية وهو يطارد كلاب الصيد والأرانب الوحشية، حتى إنه سبق جياد الجميع فيما عدا جوادًا يخص صديق آرثر سير أكالون من جول. وسرعان ما وجد الرجلان أنفسهما وحدهما تائهين في مكان بعيد من الغابة أشجاره متشابكة بكثافة. قررا أن يتبعا غرائز جواديهما في قيادتهما إلى منزلهما أو على الأقل إلى مكان آمن آخر. وتصدر جواد آرثر المسير وسافر الرجلان طوال الليل.

وفي الصباح التالي انطلق الجوادان عبر الغابة ثم توقفا عند شاطئ يطل على بحر هادئ. وفي الأفق رأى الرجلان سفينة ذات أشرعة حريرية أنيقة تسير باتجاههما بسرعة.

وعلى متن السفينة وقفت اثنتا عشرة امرأة فائقة الحسن يلوحن لهما. صاحت النسوة: «هيا، اصعدا إلى متن السفينة. قطعًا أنتما جائعان وظمآنان ومتعبان!»

قال الملك آرثر: «ماذا عسانا أن نخسر؟ لعلها تكون مغامرة عظيمة أخرى.» وافقه سير أكالون الرأي، وصعدا إلى متن السفينة.

وفجأة بدأت السفينة تتحرك بعيدًا عن الشاطئ. اضطرب الرجلان، لكن سرعان ما لهتهما النساء، ونعما بأمسية ممتعة. وفي آخر الليل، سمحا للنساء أن يقدنهما إلى أماكن النوم حيث سيقضيان ليلتهما.

عندما فتح آرثر عينيه ظن أنه لا يزال يحلم؛ إذ وجد نفسه في زنزانة حجرية مظلمة كئيبة. ورأى حوله العديد من الفرسان يتأوهون في حالة مؤسفة.

شرح له أحد الفرسان أن من سجنهم هو فارس يُسمى سير دوماس. فعندما مات والد سير دوماس ترك له ولأخيه الأصغر، سير أونتزلاك، ضيعة كبيرة. غير أنه بمرور السنين سلب سير دوماس أخاه الأصغر كل شيء تقريبًا فيما عدا قلعة واحدة صغيرة.

قال الفارس: «وقد أراد الحصول على هذه القلعة الأخيرة، لكنه لا يستطيع الحصول عليها بنفسه ولا يستطيع العثور على فارس يتولى أمر قضيته الجشعة نيابة عنه؛ لذا جميعنا هنا سجناء، فجميعنا رفضنا مساعدته.»

قال آرثر: «سأساعده أنا نظير إطلاق سراحي، لكنني بعدئذ سأعاقبه على ما فعله.»

وعندئذ دخلت امرأة الزنزانة، وعرفها آرثر. إنها واحدة من النساء اللاتي استدرجنه هو وسير أكالون إلى السفينة. سألته المرأة: «سمعتك تقول إنك ستساعد سير دوماس في قضيته؟»

قال آرثر: «سأتولى قضيته بشرط واحد؛ لا بد أن تعديني بأن تذهبي إلى كاميلوت وتطلبي من مورجانا لي فاي أن ترسل إليَّ سيفي الذي تحتفظ به.»

ضحكت مورجانا لي فاي عندما سمعت الرسالة لأنها هي بالطبع من دبر الأمر برمته. وتعالت ضحكاتها أكثر عندما أعطت المرأة السيف المُقلد وليس إكسكاليبور الحقيقي.

وحدث أنه عندما فتح سير أكالون عينيه لم يجد نفسه في زنزانة، وإنما في سرداق غامض يحرسه قزم قبيح الصورة. أخبر القزم سير أكالون أن هذا السرداق هو ملك الليدي جومين الشقراء، التي دعت سير أكالون إلى الإفطار.

وبالطبع كانت الليدي تعمل بالمثل لصالح مورجانا لي فاي. وفيما كانا يتناولان الطعام، أخبرت الليدي جومين سير أكالون بقصة حزينة بشأن فارس نبيل اسمه سير أونتزلاك، الذي كان له أخ أكبر شرير.

قالت الليدي جومين باكية: «لم يكتف سير دوماس بتجريد سير أونتزلاك من كل ممتلكاته، وإنما وجد فارسًا الآن كي يسلبه آخر شيء يمتلكه، وهو قلعته الأخيرة المتبقية. ولا يستطيع سير أونتزلاك أن يدافع عن نفسه لأنه جُرح مؤخرًا في إحدى المعارك. أرجوك يا سيدي، هلا ساعدته؟»

قال سير أكالون: «كنت سأساعده بكل سرور، لكنني لا أملك سلاحًا.»

ابتسمت الليدي جومين وقالت إنها ستعود في الحال، فعادت تحمل شيئًا ملفوفًا في وشاح قرمزي. وعندما فتحه سير أكالون شهق شهقة عالية.

صرخ أكالون وهو يحمل سيفًا يستحيل أن يعرف أنه إكسكاليبور الحقيقي: «سيدتي، هذا السيف مطابق تمامًا لسيف صديقي وملكي آرثر!»

وهكذا دُبر الأمر بحيث يتقاتل آرثر وسير أكالون، على أن يكون إكسكاليبور الحقيقي مع سير أكالون، والسيف المزيف مع الملك آرثر. ولمّا كان كل منهما يرتدي زي القتال بلون زي الرجل الذي يحارب من أجله، لم يتمكن أحدهما من رؤية وجه الآخر، ومن ثم لم يدرك كل منهما أنه يقاتل الآخر.

وصلت فيفيان في الوقت الذي بدأت فيه المعركة بالضبط، ومع أن مهمتها كانت إنقاذ الملك آرثر، لم تستطع أن تعرف في الحال أي فارس هو. غير أنه سرعان ما أصبح جليًّا للعيان أنه لا بد أن يكون آرثر هو الفارس الواقع في ورطة كبيرة، وحقًّا كان آرثر في محنة كبيرة؛ فسيفه المزيف لم يكد حتى يحدث خدشًا واحدًا في جسد خصمه، في حين

قطع سيف خصمه قطعًا غائرًا في جسده. علاوة على أن غمد سيفه الذي كان يحميه في الماضي من أي جروح بدا غير فعال، فيما تدفق الدم بقوة من جسده.

كان سير أكالون على وشك أن يقضي على الملك آرثر حينما تقدمت فيفيان وألقت تعويذة فأطاحت بسيف إكسكاليبور من يده. ركض آرثر كي يلتقط إكسكاليبور الحقيقي مدركًا في الحال أن هذا هو سيفه الحقيقي. وعندما أمسك بالغمد الذي سقط من أكالون أيضًا، توقف نزف كل جروحه. وفي الحال تقريبًا، بدأ سير أكالون ينزف بدلًا منه. وقبل أن يفقد سير أكالون الوعي على إثر فقدان الدماء، نزع عنه خوذته فرأى آرثر وجه صاحبه.

حاول آرثر أن يساعده، لكنه كان قد فقد بالفعل قدرًا كبيرًا من الدماء وصار واهنًا للغاية. واستخدمت فيفيان سحرها لشفاء آرثر كما وعدت، لكنها رفضت أن تساعد سير أكالون الذي مات بعد حين. أعطى آرثر — الذي تملكه الحزن الشديد وما زال لا يفهم ما حدث — كل ثروة سير دوماس (فيما عدا قلعة صغيرة) لسير أونتزلاك وعندئذ عاد إلى وطنه.

بعدها بفترة، جاءت مورجانا لي فاي وهي مضطربة لزيارة آرثر يساورها القلق الشديد من أن يكون قد انكشف أمرها. لكن عندما وصلت، كان آرثر نائمًا، فتسللت إلى غرفته وقررت أن تحاول أخذ إكسكاليبور مرة أخرى. لكن لأن آرثر كان يضع السيف تحت وسادته وهو نائم، لم تستطع أن تسرق سوى الغمد.

وعندما استيقظ آرثر من نومه ووجد الغمد مفقودًا وعلم أن أخته كانت هنا، أدرك أخيرًا أنها هي التي كانت وراء كل المحن التي مرّ بها مؤخرًا.

عرضت فيفيان أن تساعد آرثر في القبض على مورجانا لي فاي، ووافق آرثر. لكن قبل أن يتمكنا من الإمساك بها، كانت مورجانا قد ألقت بالغمد بالفعل في منتصف بحيرة واسعة. وبينما كانت تفعل هذا، بزغت من البحيرة ذراع بيضاء مغطاة بالعديد من الأساور الذهبية، فأمسكت بالغمد وجذبته تحت الماء إلى أغوار البحيرة إلى حيث لن يرتفع مرة أخرى.

ولمّا شعرت مورجانا بأن فيفيان وآرثر وراءها، تنكرت هي وحاشيتها، إذ حولتهم جميعًا إلى مجموعة من الصخور والأحجار الملقاة على الأرض. وعند وصول آرثر وفيفيان، شعرت فيفيان في التو بالسحر وعرضت أن تُعيد جميع الرجال مرة أخرى شريطة أن يعدها آرثر بقتل مورجانا عقابًا لها.

لكن آرثر رفض وعنفها أمام أعين بعض الأشخاص، فمورجانا هي أخته بالرغم من كل ما حدث. ابتسمت فيفيان ونعتت آرثر بالأحمق، وأخبرته في سرور بما حلَّ بصديقه العزيز ميرلين. وعندئذ غادرت المكان. ومن ذلك الحين فصاعدًا، أضمرت فيفيان مشاعر الكره والضغينة لآرثر لأنه رفض طلبها أكثر مما أضمرت له مورجانا.

وهكذا انتهت قصة وجود ميرلين في حياة آرثر.

الجزء الثاني

قصة سير بيلياس

الفصل الأول

والآن سوف أخبركم بقصة سير بيلياس، الذي كان يلقبه الكثيرون بـ«الفارس اللطيف». بدأت القصة بخروج الملكة جوينيفير في يوم ما للتنزه بصحبة وصيفاتها وبعض الفرسان. كان اليوم رائعًا، وكانوا يستمتعون بنزهتهم عندما اقتربت منهم على حين غرة امرأة تمتطي جوادًا أبيض، وكان يرافقها ثلاثة خدام يمسك أحدهم بشيء مربع كبير مغطى بقماشة من الستان الأحمر.

كان اسم المرأة بارسنت وقد جاءت من بلاط الليدي إيتارد من أجل غرض محدد للغاية؛ إذ كان كثيرون في بلاط الليدي إيتارد ومن المحيطين بها يعتبرون الليدي إيتارد أجمل امرأة في العالم، وكان قد تناهى إلى مسامعها أن جوينيفير بارعة الحسن أيضًا، من ثم أرسلت بارسنت كي تتحقق من صحة هذا.

قالت بارسنت: «وحقًّا هذا حقيقي.»

قالت جوينيفير: «هذا رائع للغاية، لكن من المضحك أن تأتي كل هذه المسافة من أجل مسألة تافهة كهذه. أخبريني، ما هذا الشيء المربع المغطى بالستان الأحمر؟»

وبإيماءة من بارسنت نزع الخادم الستان الأحمر ليكشف عن لوحة لليدي إيتارد.

قالت جوينيفير في لطف: «إذا كانت هذه هي الليدي إيتارد، إذن فهي غاية في الحسن أيضًا، بل إنها أجمل مني بكثير.»

اعترض سير بيلياس قائلًا: «ليس صحيحًا يا سيدتي! أنتِ الأجمل يا سيدتي، وأنا على استعداد للدفاع عن ادعائي هذا في مبارزة.»

قالت بارسنت: «من حسن حظك أننا هنا ولسنا هناك في بلاط الليدي إيتارد، وإلا كان سير إينجامور من مالفيرات، المنوط به حماية الليدي إيتارد، أجبرك على الدفاع عن ادعائك في مبارزة!»

أكد سير بيلياس أنه يرحب بمثل هذه المبارزة الودية، وترجى الملكة أن تمنحه إجازة من أجل القيام بهذا. ومع أنها ظلت تنظر إلى الأمر كله على أنه أمر تافه، فقد سُرت بالإطراء ووافقت على هذه المغامرة.

كان سير بيلياس شديد الحماس لهذا القتال، حتى إنه لم يُضع الوقت في تجهيز أو ارتداء زي القتال الخاص به، إذ كان على يقين كما ذكر من أنه سوف يعثر على درع ملائم لهذا الغرض في مكان ما على الطريق.

وفيما كان يجتاز بيلياس وبارسنت والمجموعة المرافقة لها «غابة المغامرات»، صادفوا امرأة عجوزًا تجلس على ضفة مكسوة بالطحالب لنهر متلاطم الأمواج. كانت عينا المرأة شديدتي الاحمرار كما لو كانت تبكي منذ سنوات، ووجهها نحيل ومليء بالتجاعيد، والشعر الخشن ينتشر في وجنتيها وذقنها.

ارتجفت بارسنت، وجال ببالها أن هذه المرأة بلا شك قبيحة المنظر على خلاف جوينيفير والليدي إيتارد! ومن ثم عندما طلبت المرأة العجوز من سير بيلياس أن يقلها على جواده عبر النهر متلاطم الأمواج، أخبرتها بارسنت أن سير بيلياس هو رجل ذو شأن رفيع لا يقوم بمثل هذه المهمة.

لكن سير بيلياس وبخ بارسنت في لطف، وذكرها بأن الفارس الحقيقي هو من يساعد أي شخص مضطر. وعندئذ نزل عن جواده، ورفع المرأة وأركبها على الجواد، وعبر بها إلى الضفة الأخرى من النهر.

وما إن وصلا الضفة الأخرى، حتى قفزت المرأة العجوز عن الجواد وتحولت فجأة، فبدلًا من العينين الحمراوين والتجاعيد والشعر الخشن، أصبح لديها عينان سوداوان مثل الجواهر، وبشرة بيضاء كالعاج، وشعر طويل ناعم كالحرير، وحول عنقها قلادة جميلة عبارة عن حلقة ذهبية مرصعة بأحجار الأوبال والزمرد. وعرف الجميع في التو أنها نيمو كبيرة سيدات البحيرة، ولم يكن تنكرها في شكل امرأة عجوز سوى اختبار لفروسية سير بيلياس.

قالت نيمو: «لقد نجحت في الاختبار، من أجل ذلك ستحوز مكافأة.» ثم مدت يدها ونزعت عن رقبتها القلادة الذهبية وأعطتها لسير بيلياس ليعلقها على كتفه كالنيشان.

وما لم يعرفه سير بيلياس هو أن القلادة كانت سحرية؛ إذ يقع في حب من يرتديها كل من ينظر إليه. وواصل الجمع سيرهم.

في اليوم التالي، وأثناء وجودهم في الغابة، صادف سير بيلياس وبارسنت امرأة باكية أخرى، لكن هذه المرأة كانت صغيرة السن، ويتبعها حامل درع حزين أيضًا.

سأل سير بيلياس: «ما الخطب؟»

تنهدت المرأة وقالت: «لا عليك، فأنت لا تستطيع أن تساعدني.»

سألها سير بيلياس: «وما أدراك؟» ثم ساعدها على النزول عن جوادها برفق، وأعطاها بعض الماء، وطلب منها مرة أخرى أن تخبره بمتاعبها.

وكانت القصة التي روتها أخيرًا قصة محزنة. كانت المرأة تصطاد بصحبة عريسها سير براندميري، فركض كلبهما المحبوب عبر جسر طويل ضيق يمر بجدول ماء عنيف الأمواج، وعندما بدآ يعبران الجسر، خرج فارس مرعب من قلعة مبنية بحجارة داكنة اللون على الجانب الآخر من الجسر، وكان الفارس وجواده يتسربلان بملابس حمراء.

ومع أنهما أوضحا للفارس الأحمر أنهما يريدان أن يرجعا كلبهما فحسب، فإن الفارس الأحمر أخبر سير براندميري أنه لا بد أن يهزمه أولًا إن أراد العبور. وكان سير براندميري غير مسلح ولا يرتدي سوى ملابس صيد خفيفة، غير أنه كان شجاعًا، فاستل سيفه وتقدم للأمام. ضرب الفارس الأحمر سير براندميري على رأسه فجعله يسقط للأمام على جواده وينزف بشدة. ومن دون أن يكلم الفارس الأحمر السيدة كلمة واحدة، أخذ بلجام جواد سير براندميري وسحبه هو وجواده عبر الجسر إلى القلعة المظلمة.

قالت المرأة باكية: «ولا أعرف إن كان ميتًا أم لا يزال على قيد الحياة!»

قال سير بيلياس: «سيدتي، يمكنني مساعدتك حقًّا.»

قالت المرأة: «لكنك لا ترتدي درعًا.»

رد سير بيلياس: «خذيني إلى هناك فحسب.» ففعلت المرأة كما قال.

وعندما بدأ سير بيلياس يعبر الجسر، جاء الفارس الأحمر مندفعًا مرة أخرى سائلًا من ذا الذي تجرأ على الاقتراب. أوضح سير بيلياس أنه جاء فحسب كي يسأل عما حدث لسير براندميري.

أجاب الفارس الأحمر: «لقد حدث له نفس ما سيحدث لك!»

قال سير بيلياس: «لكنني لست مسلحًا.»

رد الفارس الأحمر: «إذن، أقترح عليك أن تعود أدراجك.»

وبدلًا من أن يرحل بيلياس، التقط أضخم حجر استطاع أن يجده؛ حجر ربما لا يستطيع خمسة رجال عاديين أن يرفعوه، ورمى الفارس الأحمر بالحجر فأطاح به

عن جواده، وعندئذ استل سيف الفارس الأحمر ووضعه عند رقبته طالبًا منه بعض المعلومات.

عرف أن الاسم الحقيقي للفارس الأحمر هو سير أدريساك، وأن سير براندميري ما زال على قيد الحياة، لكنه يحتفظ به سجينًا لديه، بل إنه يحتفظ فعليًّا بنحو واحد وعشرين سجينًا آخرين، فقد كان يمسك عبر السنين بأي شخص يحاول أن يعبر الجسر، فيأخذه أسيرًا ويطالب بفدية هائلة. وثمة اثنان وسط هؤلاء الأسرى من بلاط الملك آرثر بالفعل هما: سير برانديلز، وسير مادور دي لا بورتيه.

كان بمقدور سير بيلياس أن يقتل سير أدريساك الشرير الوقح، لكنه قرر أن يعفو عنه بعدما توسل إليه أن يرحمه. غير أنه في المقابل سيمنح درعه إلى السير بيلياس الذي ما زال غير مسلح، ويطلق سراح كافة المساجين، ثم يذهب إلى كاميلوت ليطلب عفو الملك آرثر.

وفيما كان سير بيلياس يحرر المساجين، عثر على كل الثروات التي سلبها سير أدريساك عبر السنين، ولم يأخذ أي شيء لنفسه وإنما قسم كل شيء بين الضحايا، وقد أحبوه من أجل طيبته أكثر مما أحبوه من أجل تأثير قلادته السحرية. ترجوه ألا يرحل، لكنه كان في مهمة ما، لذا رحل بصحبة سير برانديلز وسير مادور ليتمما.

وعندمـا وصل بيـليـاس وبـارسنت حدود أرض «جرانتمسنيل»، أرض الليدي إيتارد، نصب هو ورجاله الخيام، وطلب من بارسنت أن تنقل رسالة إلى السيدة.

قال لها: «أخبريها من فضلك أن ثمة فارسًا هنا كي يعلن أن جمال الملكة جوينيفير أعظم، وكي يدافع عن هذا الإعلان ضد أي فارس قد يباريه.»

ولم تستطع بارسنت، بسبب وضعها، أن تتمنى أن يكون بيلياس الفائز في القتال، لكنها تمنت له حظًّا طيبًا بالطبع.

وفي اليوم التالي، ارتدى سير بيلياس الدرع الأحمر الذي أعطاه إياه سير أدريساك وبلغ القلعة من أجل الدخول في مبارزة ودية. وتجمهر حشد كبير من الناس، وأُنزل أمامهم الجسر المتحرك الذي خرج عبره فارس ضخم مرفوع الهامة متسربل بالكامل بملابس خضراء، وكان يُعرف بالفارس ذي الأكمام الخضراء، واسمه الحقيقي سير إنجامور من مالفيرات، وقد حيا سير بيلياس بتهذيب. غير أنه كان متحمسًا بشدة من أجل ليدي إيتارد، تمامًا مثلما كان سير بيلياس متحمسًا من أجل الملكة جوينيفير.

اندفع الرجلان أحدهما نحو الآخر بسرعة وقوة هائلتين، فأطاح سيف سير بيلياس بسير إنجامور عن جواده وطرحه أرضًا بقوة شديدة، فشهق الجميع لا سيما ليدي

إنجامور إذ لم ير أي واحد منهم سير إنجامور يُهزم من قبل. واضطرب سير إنجامور أيضًا لخسارته، وشعر بالخزي والخجل. ونزع سير بيلياس خوذته ومضى كي يقدم نفسه إلى الليدي إيتارد.

غير أنه ما إن وقف أمامها حتى أدرك أنها أجمل بكثير من صورتها، فأضمر لها شيئًا من الحب بسبب جمالها الشديد، وهي أيضًا أحبته بسبب القلادة السحرية التي يرتديها. كانت حتى هذه اللحظة تحتفظ بسير إنجامور إلى جانبها، لكنها طلبت سير بيلياس بدلًا منه على مدار الأيام القليلة التالية. وعاد سير برانديلز وسير مادور دي لا بورتيه أخيرًا إلى الخيام، لكن سير بيلياس مكث عند الليدي ضيفًا مكرمًا. وفي تلك الأثناء كان سير إنجامور يراقب بحزن وغيرة.

قال بيلياس لليدي إيتارد: «سيدتي، ماذا يمكنني أن أفعل كي أبرهن لكِ كم أهتم بكِ؟»

أجابته: «أعطني القلادة الجميلة التي ترتديها حول عنقك.»

لم يشأ سير بيلياس أن يتخلى عن القلادة التي كانت هدية خاصة من سيدة البحيرة، غير أن ليدي إيتارد سُرت بها للغاية، لذا وافق أن يتركها ترتديها بعض الوقت.

وما إن نزع سير بيلياس القلادة حتى توقف تأثير السحر وبدأت ليدي إيتارد يراودها شعور آخر غير الحب؛ شعور بالغضب الشديد لأنها افتتنت بسير بيلياس بهذه السهولة، ولأنها تجاهلت بطلها الذي طالما اعتنى بها طويلًا سير إنجامور. وبدلًا من أن تبوح إلى سير بيلياس بأن حبها له قد تلاشى، استمرت تبتسم له وتنظر له حُبًّا، وفي نفس الوقت تخطط بينها وبين نفسها للانتقام منه.

طلبت ليدي إيتارد من بارسنت أن تحضر لها عقارًا منومًا كي تعطيه لسير بيلياس. وترجتها بارسنت ألا تفعل هذا، غير أنها أصرت. وأخيرًا تناول سير بيلياس العقار الذي دسته له ليدي إيتارد في العشاء.

وعندما غط سير بيلياس في النوم، جردته ليدي إيتارد من كل ملابسه عدا ملابسه الداخلية وأخذته إلى مكان عام خارج القلعة. وعندما تشرق الشمس، سيتجمع كل الناس حوله يهزءون منه فيشعرونه بنفس الخزي الذي جعل سير إنجامور يشعر به عندما هزمه.

وهذا ما حدث بالضبط عندما استيقظ سير بيلياس في اليوم التالي؛ فقد وقف هناك مرتبكًا، شبه عارٍ، ومذلولًا، إلى أن ركضت بارسنت إليه حاملة بطانية كي تغطيه بها.

تملك الغضب الشديد من سير براند يلز وسير مادور دي لا بورتيه من أجل ما فعلته ليدي إيتارد، وتوسلا إلى بيلياس أن يسمح لهما بأن يحضرا الدعم من كاميلوت كي يلقنا ليدي إيتارد درسًا لا تنساه.

لكن سير بيلياس رفض؛ فهي — كما أخبرهم — امرأة في المقام الأول، ومن ثم، سوف يدافع عن كرامتها حتى الموت، ومن أجل سبب آخر كما اعترف لهما ألا وهو أنه واقع في غرامها. وبعد أن قال سير بيلياس هذا، طلب من حامل الدرع أن يحضر له درعه.

قال بيلياس: «سأحاول أن أزورها. لا أعرف نوع السحر الذي أنا خاضع له، لكنني سأموت قطعًا إذا لم أرها وأتحدث إليها مرة أخرى.»

ارتدى سير بيلياس زي القتال الكامل، ثم اتجه إلى طرف جرانتمسنيل وانتظر. وبعثت ليدي إيتارد عشرة فرسان كي يعاقبوه. ولمّا كان سير بيلياس فارسًا عظيمًا بالفعل علاوة على أن الحب أمده بالقوة في تلك اللحظة، فقد هزم سريعًا ثمانية منهم، وكان الفارسان الأخيران على وشك الالتفاف والفرار منه، لكن سير بيلياس رفع يديه عندئذ معلنًا استسلامه. جراه إلى القلعة، فابتسم سير بيلياس في نفسه، لأن هذا هو عين ما أراده. وظن أنه سوف يرى محبوبته مرة أخرى في غضون لحظات معدودة، لكن ليدي إيتارد رأته أولًا.

صرخت ليدي إيتارد من أعلى البرج فيما وصل الفرسان بسجينهم: «لا تحضروه لي! ضعوه على جواده وأوثقوا يديه خلف ظهره وقدميه تحت بطن جواده، ثم أرسلوه إلى الخارج حتى يضحك الجميع عليه مرة أخرى.»

وعندما رأى سير براند يلز وسير مادور دي لا بورتيه هذه الإهانة الأخيرة، ترجيا سير بيلياس بإلحاح شديد أكثر من المرة السابقة أن يسمح لهما بأن يستردا كرامته.

قال سير بيلياس في إصرار: «لا أكترث بكرامتي.» قال هذا لأنه كان تحت تأثير القلادة السحرية التي كانت ترتديها ليدي إيتارد الآن طوال الوقت.

غير أن صديقَي بيلياس واصلا محاولاتهما: «حسنًا، وماذا عن كرامة الملك آرثر وطاولته المستديرة؟»

رد سير بيلياس بصوت عظيم ومزعج: «لا أكترث بهما أيضًا.»

الفصل الثاني

فيما كان سير بيلياس بالخارج في مغامرته الخاصة بالدفاع عن جمال الملكة جوينيفير، كان هناك فارس آخر في كاميلوت يثير أعصاب الملكة. كان هذا هو سير جيواين الذي كانت تمقته منذ زمن طويل، وكانت تحمل له مشاعر البغض، ربما منذ ذلك اليوم الذي لم يرفض فيه فحسب المساعدة في حماية مملكة والدها وإنما أيضًا رد على طلبها بوقاحة. كان يراه الكثيرون على أنه شخصية ساحرة، غير أنها كانت تراه متشامخًا مغرورًا، وقد قسى قلبها تجاهه.

في يوم من الأيام قفز أحد الكلاب المفضلة لدى الليدي جوينيفير على سير جيواين وهو متسخ القدمين. ولمّا لم يكن سير جيواين يعلم أن جوينيفير تراقبه، ضرب الكلب على أذنيه. هرعت جوينيفير نحوه، وسألته لماذا ضرب كلبها.

رد سير جيواين: «لأن كلبك هاجمني، وعندما يهاجمني شيء أهاجمه بالمثل.»

انتصبت جوينيفير في شموخ وسألته: «أنسيت إلى من تتحدث؟ كيف تجرؤ على الحديث إليّ هكذا؟»

انتصب جيواين بنفس الشموخ وقال: «ربما أنتِ يا سيدتي التي لا تذكرين أنني ابن ملك عظيم، وأنا أجرؤ على فعل ما يجب عليّ فعله دفاعًا عن حقوقي.»

شهق جميع الحاضرين وأداروا نظرهم بعيدًا في الحال. ووقفت جوينيفير مستشاطة غضبًا لحظة قبل أن تتحدث إليه مرة أخرى، وأخيرًا نطقت وقالت له: «سير جيواين، أنت متشامخ ومغرور بما يفوق كل الحدود. أنا الملكة وهذا بلاطي، وأنا آمرك أن ترحل وألا تريني وجهك إلى أن تكون مستعدًّا للاعتذار لي عن الطريقة الوقحة التي تعاملني بها دائمًا!»

وبهذا استدارت جوينيفير واتجهت إلى غرفتها، غير أنها ما إن دخلتها حتى بكت في الخفاء من شدة الغضب والخزي. لقد كرهت الموقف الذي حدث للتو، لكنها في الوقت نفسه كانت فخورة بما فعلته، وكانت ستفعله مرة أخرى لو تكرر الأمر.

لمّا سمع سير إيواين أن من المزمع أن يغادر ابن عمه كاميلوت، طلب من الملك آرثر أن يأذن له بمغادرة البلاط بالمثل. وافق الملك آرثر بكل سرور، ورحل الفارسان معًا بحثًا عن مغامرة أخرى عظيمة.

أخبرهما الرهبان في الدير عن بقعة في أحد المروج حيث يتدلى ترس من أحد أشجار الجميز، وقال الرهبان إن ثمة بعض النساء اللاتي أسأن معاملة هذا الترس للغاية. وفكر جيواين وإيواين أن هذا أمر في غاية الغرابة، لكنهما انطلقا للعثور على أولئك النساء.

وبالطبع عثرا على المرج، وعلى شجرة الجميز، وعلى الترس، وثلاث فتيات حسناوات يَسبُبن الترس ويرشقنه بالحجارة والوحل، وكان صاحب الترس فارسًا يتسربل بملابس سوداء بالكامل يجلس في هدوء على جواده لا ينبس ببنت شفة ولا يفعل شيئًا.

هجم سير جيواين على الفتيات وهو يصيح فيهن: «ابتعدن!» وبعد أن ألقين حفنة أخيرة من الوحل، فررن بسرعة. اقترب الفارس الأسود، وما أدهش سير جيواين أنه سأله عن سبب تدخله. وأجاب جيواين متعجبًا: «لأنهن كن عديمات الاحترام مع ما بدا لي ترسًا فروسيًّا أصيلًا.»

أجاب الفارس الأسود في ضجر: «إنه ترسي، وأنا قادر تمامًا على الدفاع عنه.»

قال جيواين متحديًا الفارس: «ليس هذا واضحًا!» وعندئذ تبارى الرجلان، فيما احتشد جميع الناس الذين داخل القلعة ونظروا من فوق الأسوار. شعر جيواين، الذي لم يطرحه أحد قط عن صهوة جواده — عدا الملك آرثر — بالثقة الشديدة في أنه سوف يفوز في المبارزة. ولكن قبل أن يفطن، وجد رمحه مكسورًا إلى أجزاء عديدة، وكان هو نفسه يطير في الهواء عن صهوة جواده وينطرح بقوة على الأرض المتربة.

جُرح كبرياء سير جيواين الذي اندفع بغضب شديد نحو الفارس الأسود، واستجاب الفارس الأسود بالمثل إلى أن أقحم سير إيواين جواده بينهما.

صاح سير إيواين: «يا للعار يا جيواين! أن تتعارك هكذا مع فارس قاتلك بطريقة ودية في مبارزة عادلة!»

هز جيواين كتفيه وأعاد سيفه إلى غمده، وفعل الفارس الأسود الشيء نفسه. وبعدما ساد السلام مرة أخرى، دعا الفارس الأسود سير جيواين وسير إيواين إلى منزله لتناول

الشراب. وجدا منزله فخمًا وملكيًّا، واتضح أن الفارس الأسود هو سير مارهوس ابن ملك أيرلندا. وشعر جيواين بالارتياح لأنه على الأقل تلقى هزيمته على يد شخص رفيع الشأن.

أخيرًا أوضح مارهوس سبب وقوفه بالقرب من الترس وعدم الدفاع عنه. فمنذ فترة مضت، أطاح سير مارهوس عن طريق الخطأ بمحبوبة أحد الفرسان عن جوادها حيث وقعت في الماء، وعقابًا له قبِل ليس فقط أن يقف على مقربة من الترس مكتوف اليدين فيما تقوم جواري السيدة بقذف الترس بالإهانات والطين، ولكن أيضًا أن يدرأ عنهن هجمات أول سبعة فرسان يأتون ليدافعوا عن الترس. وكان سير جيواين هو الفارس السابع، ومن ثم حرر سير مارهوس من الواجب الذي كان عليه. وهكذا أصبح سير مارهوس طليقًا الآن كي ينضم إلى سير جيواين وسير إيواين في بحثهما عن مغامرة.

في اليوم التالي صار الرجال وسط «غابة المغامرات»، وكان الصمت مطبقًا للغاية حتى إنهم ما كادوا يسمعون وقع حوافر أحصنتهم على الأرض. تبعوا ظبيًا صغيرًا فوصلوا إلى نافورة تجلس بجانبها امرأة جميلة ذات وجه أبيض كالعاج، وشعر حالك السواد، وعينين مشرقتين ومتلألئتين كالجواهر، لم تكن سوى الجنية نيمو، كبيرة سيدات البحيرة.

أخبرت نيمو الرجال أن سير مارهوس سيصير يومًا ما أحد أشهر فرسان الطاولة المستديرة. غير أن مغامرة اليوم هي مغامرة سير جيواين. وأخذت نيمو الرجال إلى قمة أحد التلال حيث نظروا إلى أحد الوديان بالأسفل فرأوا منظرًا في غاية الغرابة بحق. رأوا فارسًا متسربلًا بملابس حمراء بالكامل، قاتل بمفرده عشرة فرسان هجموا عليه، وفي منتهى البراعة ضرب أول ثمانية فرسان منهم وبدا آخر فارسين على وشك الهروب. لكن عندئذ، تصرف الفارس الأحمر أغرب تصرف يمكن توقعه؛ لقد ألقى بسيفه بعيدًا واستسلم لهما، فأخذاه إلى قلعة قريبة.

قالت نيمو: «انتظروا فحسب.» وبعدها ببضع ثوانٍ رأوا نفس الفارس يُطرد من القلعة ويداه موثقتان خلف ظهره وقدماه تحت بطن جواده.

أخبرت نيمو جيواين: «والآن يمكنك أن تذهب، فهذه مغامرتك.»

نزل سير جيواين، وسير إيواين، وسير مارهوس إلى الوادي ودهشوا كثيرًا حينما رأوا خيام سير برانديلز وسير مادور دي لا بورتيه وشعاريهما أيضًا. جلس الفرسان الخمسة الودودون وتناولوا الشراب معًا. لكن عندما سأل جيواين سير برانديلز وسير

مادور عن المنظر الذي شاهدوه في الوادي، بدا عليهما عدم الرغبة في الإجابة، وبدلًا من أن يجيباه، طلبا منه أن يتبعهما ليعرف الإجابة بنفسه.

قال جيواين في صرامة عندما رأى أن الفارس الأحمر هو سير بيلياس: «سير، أنت أحد فرسان البلاط الملكي للملك آرثر، كيف تذل نفسك والبلاط الملكي هذا الإذلال المخجل؟»

لم يجبه بيلياس.

قال سير جيواين بعنف شديد: «سير، أجبني بطريقة أو بأخرى، أجبني بالكلمات أو بمقاتلتي لأنني لن أسمح بمثل هذا الخزي أن يلحق بملكنا دون أن أدافع عنه. لقد كنا أنا وأنت أصدقاء يومًا ما، لكن إن لم تفسر لي الأمر في الحال، فسأعتبرك عدوي.»

وعندما أوضح بيلياس الأمر أخيرًا، اتفق معه سير جيواين أنه يبدو وكأنه مسحور، مثلما فعل أحد الأشخاص بالحكيم ميرلين مؤخرًا. وأقسم سير جيواين، ليس فقط أن يكشف سبب المشكلة وإنما أيضًا أن يسترد كرامة صديقه. وكانت لديه خطة لهذا.

فبعد أن ارتدى سير جيواين ملابس قتال سير بيلياس الحمراء وامتطى جواده، اتجه نحو قلعة ليدي إيتارد بشجاعة. وحدث أنها كانت تسير في تلك الأثناء بطول أحد الأسوار الخارجية ورأت الفارس الأحمر يقترب.

فنادته: «لماذا رجعت؟ ألا تفهم أنك كلما أتيت إليّ ازددت كرهًا لك؟»

خلع سير جيواين خوذته وأراها وجهه وقال: «أنا لست الرجل الذي تكرهينه، لقد هزمته وأخذت درعه وجواده، ولن يسبب لكِ أي إزعاج بعد الآن.»

انبهرت ليدي إيتارد، فقد كان سير بيلياس أحد أعظم الفرسان بالعالم، لذا لو أن هذا الفارس الجديد قد هزمه بالفعل، فلا بد أنه بطل بحق. كما لاحظت أيضًا أنه شديد الوسامة وذو لحية وشعر سوداوين وكثيفين، وعينين زرقاوين زرقة الفولاذ. فدعته إلى داخل قلعتها.

سارت كل الأمور على ما يرام حسب خطة سير جيواين، إلى أن بدأ سحر القلادة السحرية يؤثر فيه بالمثل، وبدأ جيواين يقع في غرامها تمامًا مثلما حدث مع صديقه بيلياس. ولأن ليدي إيتارد أصبح لديها الآن بطل عظيم، رجع سير إنجامور المسكين إلى المرتبة الثانية مرة أخرى الآن.

وبعدما قضى سير جيواين العديد من الأيام السعيدة هناك يغرق في الحب أكثر فأكثر تحت تأثير القلادة السحرية، وجد نفسه يتسأل: لماذا يجدر به أن يرحل من

الأساس؟ فعلى أي حال، لقد أُجبر على ترك بلاط الملك آرثر على نحو يشعر أنه ظالم. لماذا لا يمكث إذن مع ليدي إيتارد الجميلة ويكوّن البلاط الخاص به؟

وعندما لم يعد جيواين، شك سير بيلياس في أنه ربما وقع مكروه، لذا تنكر في زي راهب يرتدي زيًّا أسود وشق طريقه متجهًا نحو القلعة معلنًا أن لديه رسالة هامة للسير جيواين.

ولمّا دخل إلى سير جيواين وليدي إيتارد، ورآهما يتبادلان نظرات الحب والهيام، نزع سير بيلياس قلنسوته وسار نحو ليدي إيتارد مباشرة ونزع القلادة السحرية من رقبتها.

صرخ سير بيلياس: «هذه قلادتي، وليس لكِ أدنى حق فيها!» ثم قال لسير جيواين: «أما أنت فقد خنتني وخنت الفروسية!» ثم صفع جيواين بقوة شديدة حتى إن خاتمه علّم على وجهه.

قال سير جيواين: «لقد خنتك، لكن الجرح الذي أصبتني به الآن يجعلنا متعادلين.»

اشتد غضب بيلياس وقال: «كلا لسنا متعادلين، لأنني جرحت وجنتك فحسب، لكنك جرحت قلبي! سأدفع لك ثمن صفعي إياك، لكنك سوف تدفع لي ثمن خيانتك لي!»

قال جيواين متوعدًا: «أنا على أهبة الاستعداد لمبارزتك!» ولمّا نظر إلى ليدي إيتارد في اشمئزاز؛ إذ لم تعد ترتدي القلادة، استدار كي ينصرف.

سخرت منه إيتارد قائلة: «أجل انصرف! لكن انصرف وعلى وجهك علامة الفارس الأعظم.»

أقسم سير جيواين في غضب: «انظري إلى وجه سير بيلياس غدًا، ولسوف ترين العلامة التي ستكون على وجهه حينها.»

الفصل الثالث

في اليوم التالي، واستجابة لسخرية ليدي إيتارد، تحدى سير جيواين سير بيلياس في مبارزة، وقبل سير بيلياس التحدي.

شاهد الجميع الفارسين العظيمين والصديقين القديمين وهما يتقاتلان. وشاهدت ليدي إيتارد من بعيد، لكن لأن سير بيلياس ارتدى القلادة السحرية مرة أخرى، وجدت نفسها تتمنى أن يفوز هو بالقتال.

اشتبك الرجلان في منتصف الساحة، وفي البداية بدا أن سير بيلياس هو الفائز؛ فقد كسر رمح سير جيواين ودفعه بعنف شديد عن جواده فارتطم بالأرض كأنما قد مات. لكن عندما انصرف سير بيلياس بجواده مبتعدًا أدرك أنه هو أيضًا قد جُرح. فلا بد أن طرف رمح جيواين قد اخترق درعه وانكسر في جنبه لأنه كان ينزف بشدة.

وحدث أن بارسنت وأحد الأقزام كانا يسيران في الغابة وعندئذ عثرا مصادفة على بيلياس الجريح. وكان القزم يعرف أن ثمة قديسًا يتمتع بموهبة الشفاء قد يكون قادرًا على المساعدة، لذا أخذا بيلياس في حذر شديد إلى منزل القديس. غير أنهما وصلا بعد فوات الأوان للأسف، لأن بيلياس كان في غيبوبة الموت بالفعل.

قال القديس: «للأسف لا يمكنني فعل أي شيء له.»

وعندئذ انفتح الباب ودخلت امرأة جميلة، تتسربل بملابس خضراء بالكامل، وذراعاها مغطاة بأساور مرصعة بالزمرد والأوبال، وكان لها وجه أبيض كالعاج، وعيناها سوداوان لامعتان كسواد شعرها ولمعانه. عرف القديس على الفور أنها ليست إنسانة عادية.

ترجته المرأة قائلة: «اسمح لي فقط بقضاء دقائق قليلة مع هذا الرجل. بمقدوري أن أساعده. أعدك بألا أستخدم أي سحر سيئ.»

وافق القديس، وما إن تركهما وحدهما حتى أخذت نيمو قلادتها أولًا من حول عنق بيلياس وتقلدتها حول عنقها مرة أخرى. وبعدئذ ضغطت بحجر سحري على جرح بيلياس وراقبت فيما خرج رأس الرمح. ثم وضعت نيمو على الدم الذي تدفق سريعًا قطعة من القماش السحري. وأخيرًا أخرجت أنبوبًا صغيرًا مليئًا بعقار أزرق، ثم وضعت قطرة منه على شفة بيلياس الجافة، وشاهدت الفارس الجريح وهو يعود فجأة إلى الحياة بعد أن شارف على الموت. غير أنه لا مجال لإنكار أنه عاد شخصًا مختلفًا تمامًا.

سألها بيلياس: «هل أنا ميت؟»

ردت نيمو: «لا، لكنك لم تعد كما كنت من قبل، فلكي أنقذ حياتك اضطررت أن أعطيك عقارًا جعلك نصف إنسان فقط، وأنت نصف جني الآن أيضًا.

وكانت نيمو ترتدي القلادة السحرية الآن، وعندما حدق سير بيلياس فيها لم يشعر بشيء سوى العرفان بالجميل والحب. بل إنه شعر وهو نصف جني أنه أفضل مما كان، فكان جسده خفيفًا خفة الهواء، وروحه ملآنة فرحًا.

سألها: «هل يمكنني الآن أن آتي لأعيش معكِ؟ فبما أنكِ أنقذتِ حياتي، أيمكنني أن أهديكِ هذه الحياة الآن إلى الأبد؟»

همست نيمو: «منذ اللحظة الأولى التي رأيتك فيها، كان هذا هو كل ما تمنيته.»

ووقع الاثنان عقد حبهما الجديد بقبلة.

في تلك الأثناء، كانت بارسنت والقزم قد شقا طريقهما عائدين إلى القلعة حاملين خبر موت بيلياس الوشيك، إذ لم يعرفا أنه قد تعافى. وتملك سير جيواين، الذي كان ما زال في حالة صحية واهنة، شعور شديد بالذنب، فقال: «في أول الأمر خنته، والآن أنا المسئول عن موته. لا بد أن أذهب لأطلب عفوه!»

عرج جيواين أولًا على منزل القديس، ثم واصل المسير في الطريق الذي أخبره القديس أنه سلكه برفقة نيمو. وقد فرح للغاية عندما عرف أن نيمو قد شفت صديقه، غير أنه ظل بحاجة إلى أن يعثر عليه ويضع الأمور في نصابها الصحيح.

واصل جيواين مسيره إلى أن بدأت الغابة تزداد في الظلام المدلهم، وفجأة ظهر ضوء أزرق شاحب كي يتبعه جيواين على ما يبدو. وفي هذا الضوء الذي سطع سطوعًا أقوى وأوضح من القمر، استطاع جيواين أن يرى كل بتلة من بتلات الأزهار الطويلة التي كانت تحيط به. وبعد أن وصل أخيرًا بحيرة زرقاء جميلة، أدرك أنه لا بد في أرض الجنيات.

وفجأة رأى نيمو وشيئًا بدا كروح يخرجان من البحيرة. وما إن أدرك أن الروح هو بيلياس، حتى اندفع في سعادة كي يحضنه، غير أن سير بيلياس منعه برفق.

وأوضح بيلياس لسير جيواين أنه الآن نصف إنسان، وأخبره أنه أحبه وسامحه، لكن حياته ستكون مختلفة تمامًا الآن؛ حياة برفقة نيمو.

سأله سير جيواين: «لكن إلى أين ستذهب؟»

أجابه سير بيلياس: «سأكون هناك.» وكان يشير إلى البحيرة حيث لا يرى سير جيواين سوى الماء، لكن حيث أكد بيلياس أنه ثمة مدينة رائعة من الذهب وحقولًا زرقاء تعج بالأزهار.

نظر سير جيواين إلى وجه سير بيلياس فوجده صار عاجيًّا أيضًا، ولديه عينان شديدتا السواد تلمعان كالجواهر. غير أنه رآه سعيدًا سعادة حقيقية. وبعد أن وعده سير جيواين أنه سوف يعتذر إلى جوينيفير، استدار ورحل.

وراقب سير جيواين بمزيج من السعادة والحزن بيلياس ونيمو وهما يستديران ويغوصان في الماء. وبعدها عاد جيواين ورجال آخرون إلى كاميلوت حيث أقام علاقة سلام واهنة مع الملكة جوينفير وفاءً بوعده. وضم الملك آرثر سير مارهوس إلى رفقاء الطاولة المستديرة، وأصبح هذا الأخير واحدًا من أشهر فرسانها. أما ليدي إيتارد، فبرحيل كل الفرسان الآخرين، بدأت تنظر من جديد بعين الاستحسان إلى سير إنجامور الذي عانى طويلًا والذي تزوجها سريعًا وأصبح لورد جرانتمسنيل.

الجزء الثالث

قصة سير جيواين

الفصل الأول

سنتناول في هذا الجزء الأخير قصة سير جيواين، الذي يكون عنيفًا وفظًّا في طريقته أحيانًا، كما رأينا، لكنه يتمتع أيضًا بطبيعة رقيقة وولاء عظيم.

في أحد الأيام، فيما كان الملك آرثر ورجال حاشيته يتنزهون في الأراضي، اندفع غزال أبيض لطيف وسط الأشجار على بعد يطارده كلب أبيض جميل. وبعد قليل من المطاردة في بقعة خالية من الأشجار، رجع الغزال المذعور إلى وسط الأشجار، والكلب في أعقابه مباشرة.

وقبل حتى أن يتمكن رجال البلاط من الالتفات مرة أخرى لتناول طعامهم، اندفع كائنان آخران من الغابة في جلبة. كانا فارسًا وسيدة يرتديان ملابس تبدو كملابس الصيد. وأخيرًا ظهر مخلوق آخر؛ فارس وحيد يمتطي جوادًا أسود وقد بدت عليه أمارات الغضب، وهجم على الفارس الآخر وطعنه بسيفه، وجذب السيدة التي كانت معه، وألقى بها وهي تصرخ على صهوة جواده ثم عاد أدراجه نحو الغابة. وبعد لحظة، جاء اثنان من حاملي الدروع، وحملا الفارس الجريح ورحلا بالجوادين.

ولأن الأمر برمته حدث بسرعة بالغة وفي بقعة بعيدة عن البقعة التي يتنزه فيها رجال البلاط، لم يستطع أي منهم أن يخطو خطوة واحدة. غير أن الملك آرثر طلب من سير جيواين أن يتحقق من الأمر وأن يأخذ معه أخاه جيهاريس حاملًا لدرعه.

أول شيء عثر عليه جيواين وجيهاريس هو فارسان يتقاتلان. واتضح أن الفارسين هما أخوان، يتبارزان من أجل نفس الغزال والكلب، وقد شرعا في قتالهما لأن أحدهما تمنى أن يهرب الغزال من الكلب والآخر تمنى أن ينال الكلب من الغزال ويقتله. وبعد ذلك بدأ يتشاجران حول من ينقذ السيدة وهما لا يزالان بصدد هذا إلى الآن.

ترك جيواين وجيهاريس هذين الفارسين ومضيا قدمًا في مغامرتهما. وكان الشيء التالي الذي عثرا عليه هو قلعة كبيرة. وعلى أعتابها رقد الكلب ميتًا جرّاء رشقه بالعديد من السهام. أحب جيواين الكلاب وألقى باللوم على الغزال، وبعدما ركض الغزال مرة أخرى بالقرب منهما بعدها بلحظة، أمسكه جيواين وقتله. ولمّا رأى اللورد والليدي صاحبا القلعة هذا المنظر من النافذة، هرعا على الفور إلى جيواين.

صرخت الليدي التي سقطت على الأرض باكية: «أوه، ماذا فعلت بغزالي المحبوب؟»

اعتذر جيواين، لكن عندما ضربه اللورد بسيفه، اندهش وثارت ثائرته. ومع أن اللورد طلب عفوه، شهر جيواين سيفه كي يذبحه.

غير أن ما حدث بعدها لم يكن جيواين يقصده. فعندما كان يلوح بسيفه، هرعت الليدي إلى الأمام كي تدافع عن زوجها، وحاول جيواين أن يتراجع عن طعنته، لكن السيف لمس رقبة السيدة مما جعلها تنزف وتخر على الأرض وكأنها ماتت مثل الغزال.

لكن من حسن الحظ أنها لم تمت. وشعر اللورد بالامتنان الشديد من أجل هذا، حتى إنه سامحه على كل شيء ودعاه هو وجيهاريس إلى العشاء. وأثناء العشاء، أخبرهم اللورد بقصة أخيه الذي اتخذ أخت زوجته زوجة له.

قال اللورد إن امرأة غريبة تتسربل بملابس حمراء بالكامل وشعرها أحمر قد أعطت إحدى الأختين الغزال، والأخرى الكلب. وكانت الأختان غاية في السعادة، غير أن المطاردة بدأت في التو تقريبًا فتشاجرتا معًا. واعترف اللورد أنه كان هو ذلك الفارس الغاضب الذي يرتدي ملابس سوداء الذي طعن أخاه وخطف زوجته. وقد فعل هذا انتقامًا منه من أجل كرامة زوجته وغزالها.

ارتاب جيواين في الأمر، فالمرأة التي وصفها اللورد بدت مثل فيفيان الساحرة، التي تشتهر بارتكاب أفعال مؤذية كهذه بغرض التسلية. قال جيواين: «لمّا صار كل من الغزال والكلب ميتًا الآن، دع شجارك مع أخيك يموت الآن أيضًا.»

وافق اللورد، غير أنه عندما عاد جيواين إلى كاميلوت وأخبر آرثر وجوينيفير بكل ما حدث، حكمت عليه جوينيفير أنه هو من أحدث المتاعب. وقد حدَّثت إحدى جواريها سرًّا أن جيواين لم يظهر أي رحمة مع اللورد، وضرب امرأة وجرحها، قالت جوينيفير: «بالطبع، أصبح سيفه الآن غير شريف.»

ولمّا سمع جيواين هذا مصادفة، خلص إلى أن جوينيفير ستظل تمقته إلى الأبد، ولن تمنحه فرصة لإثبات ولائه. غير أن جيواين أخفى غضبه، وبدافع احترامه للملكة، كسر سيفه الذي صار غير شريف على ركبته.

لكن لا تقلق عزيزي القارئ بشأن جيواين، فقد استطاع لاحقًا أن يثبت نفسه للملكة جوينيفير؛ وربما لك أنت أيضًا.

الفصل الثاني

بعد هذا بفترة، تاق الملك آرثر نفسه إلى مغامرة. ولمّا كانت الملكة جوينيفير وحاشيتها بعيدًا في كارليون، كان الوقت مناسبًا للذهاب في مغامرة. شرع آرثر في رحلته ولم يصطحب معه سوى حامل درعه المفضل بويزنارد.

وبعد أن تاه بعض الوقت في غابة حالكة الظلام، وصل الاثنان إلى قلعة عظيمة لكنها بغيضة. كانت القلعة مُضاءة من الداخل، وعندما قرعا بابها، فتح لهما بواب.

قال الملك آرثر: «نحن فارس وحامل درع نبيلان لكن متعبان. هل يمكن أن تُؤوينا هنا الليلة؟»

قال البواب: «لو كنتما تعلمان مصلحتكما لآثرتما المبيت في الغابة. لا خير للفرسان الذين يسعون إلى مأوى هنا.»

أثار هذا فضول الملك آرثر فأصر على الدخول. قاد البواب آرثر وبويزنارد إلى إحدى القاعات حيث يُقام حفل كبير. جلس فارس عجوز عند رأس الطاولة، وكانت له لحية بيضاء وصدر عريض، وقد ارتدى حول عنقه سلسلة ذهبية بها قلادة، ودعاهما إلى تناول الطعام.

تمثلت التحلية بعد الطعام في ممارسة لعبة ما، ففي مبارزة للشجاعة، يحاول كل متبارٍ أن يقطع رأس الآخر، كما أوضح لهما الفارس العجوز.

قال آرثر: «تبدو هذه لعبة غريبة.» فانفجر جميع من بالقاعة في الضحك، كما لو كان بينهم سر مشترك.

سأله الفارس: «هل أنت خائف؟»

أجاب آرثر في غضب إنه لا يهاب شيئًا، ووافق على المشاركة متجاهلًا توسلات بويزنارد. ولمّا كان آرثر ضيفًا، أصر الفارس العجوز على أن يلوح آرثر بسيفه أولًا.

شهر آرثر — الذي ما زال غاضبًا لكنه يشعر بالرضا لأنه سيبدأ أولًا — إكسكاليبور ولوح به، وفي سلاسة رائعة أطاح برأس الفارس العجوز.

قال آرثر ظنًّا منه أنه فاز: «حسنًا، هذا يكفي.»

لكن ما أثار دهشته الشديدة أنه بدلًا من أن يسقط جسد الفارس العجوز على الأرض، سار الجسد في هدوء إلى حيث وقعت رأسه، ثم التقطها، وأعادها إلى مكانها أعلى جسده حيث كانت في حالة جيدة كما لو كانت جديدة.

قال الفارس العجوز: «حان دوري كي ألوح بسيفي.» وانفجر جميع المتفرجين في الضحك مرة أخرى.

لوح الفارس العجوز، مرة ثم مرتين، لكن في كل مرة كان يقف عاجزًا عن قطع رأس آرثر. حرك سيفه ببطء بضع مرات أخرى، وفي كل مرة كان طرف سيفه يخدش جلد عنق آرثر قبل أن يتوقف.

قال آرثر: «اقطع رأسي إذا كنت تنوي هذا، لكن لا تعذبني أكثر من هذا.»

صرخ الفارس العجوز: «سأفعل شيئًا مختلفًا تمامًا! سأعفو عن حياتك مدة سنة ويوم، على أن تعدني أن تعود بعد هذا الوقت من أجل قطع رأسك.»

وعده آرثر.

أضاف الفارس العجوز: «ولسوف أعفو عن حياتك مرة أخرى حينها إذا استطعت أن تحل اللغز التالي: «ما أكثر شيء ترغب فيه المرأة في العالم؟»

تنهد آرثر؛ فالآن يعذبه الفارس العجوز بالفعل، إذ مَن ذا الذي يعلم ما الذي تريده النساء حقًّا؟ هل هي الثروة؟ أم الجمال؟ أم المقتنيات الجميلة؟ أم القدرة على الإرضاء؟ غير أنه قبِل التحدي بعد أن جعل بويزنارد يقطع له وعدًا بألا يخبر جوينيفير.

مر العام، ومع أنه كان يسأل طوال العام كل امرأة يلتقيها خلال هذا الوقت، شعر آرثر أنه لم يقترب بعد من معرفة ما الذي تريده المرأة. إلا أنه انطلق متجهمًا كما وعد عائدًا نحو قلعة الفارس العجوز ونحو موته المحتمل.

بيد أنه قبل أن يبلغ القلعة مباشرة، التقى بمحض الصدفة امرأة عجوزًا تسكن كوخًا محفورًا في شجرة بلوط مكسوة بالطحالب. كان وجه المخلوقة المسكينة مليئًا بالتجاعيد وقبيحًا على نحو مرعب، وعيناها مغشاة بطبقة رقيقة، وأذناها بارزتين، ولم يتبق بفمها سوى سنّة واحدة. ومع كل هذا، حياها آرثر في لطف، وقام بمحاولة أخيرة للحصول على حل للغزه.

قالت المرأة: «أنا أعرف الإجابة، لكنني لن أخبرك بها إلا بشرط واحد. إذا كان تخميني في محله، فلا بد أن تقطع لي وعدًا بأن أختار أي فارس في بلاطك ليكون زوجًا لي.»

تردد آرثر، إذ لم يكن واثقًا أنه يستطيع أن يقطع وعدًا نيابة عن رجل آخر. غير أنه لمّا كان يعرف أن الاختيار البديل الوحيد هو موته، وأن فرسانه النبلاء كانوا سيفعلون أي شيء كي ينقذوه من الموت، وافق.

قالت المرأة العجوز: «أكثر شيء ترغب فيه المرأة هو أن تحصل على ما تريد.» كما أخبرته أيضًا أن الفارس العجوز هو ساحر شرير وقد لعب هذه اللعبة مع رجال كثيرين، وأنه استطاع أن يفوز في كل مرة بسبب القلادة الذهبية التي يتقلدها حول عنقه، فكلما سقطت رأسه، تذهب روحه بأمان إلى هذه القلادة، وهذا هو السر وراء خدعته.

وحينما وصل آرثر قلعة الفارس العجوز، كان أول شيء فعله هو أن ذكر إجابة المرأة العجوز للغز كلمة بكلمة. جحظت عينا الفارس العجوز من الدهشة، فعرف آرثر أن الإجابة صحيحة.

وكان ثاني شيء فعله هو أن اقترب وأمسك بالسلسلة والقلادة الذهبية.

قال آرثر: «والآن أيها الفارس العجوز، لعلنا نلعب لعبة أخرى، تعطيني فيها هذه السلسلة والقلادة التي حول عنقك.» ثم نزعها آرثر بقوة. انكسرت السلسلة وانفتحت القلادة فظهرت بداخلها كرة متلألئة من الكريستال كانت تحتفظ بروح الفارس العجوز. ألقى آرثر بكرة الكريستال بقوة على الأرض حيث انكسرت، وعندئذ انكسر الساحر العجوز الشرير بالمثل، وأخيرًا خرّ على الأرض ميتًا.

كان آرثر متحمسًا للرجوع إلى بلاطه. وبعد أن توقف بكوخ الشجرة القديم، رفع برفق المرأة العجوز ووضعها بحذر أمامه على الجواد. وطول رحلته كان يعاملها بمنتهى الاحترام كأنها ملكة صغيرة جميلة وليست امرأة عجوزًا.

وعندما وصلا بلاطه، أنصت الجميع إلى آرثر في حيرة صامتة وهو يخبرهم كيف أن المرأة العجوز أنقذت حياته، ويخبرهم بشأن الوعد الذي قطعه لها في المقابل.

سأل آرثر الفرسان الواقفين أمامه: «هل كنت على صواب عندما قطعت هذا الوعد؟» أجابه جميع الفرسان الحاضرين المخلصين بأنه كان صائبًا في قراره. ولمّا سمعت المرأة العجوز هذا، تفرست في جميع الفرسان هنيهة قبل أن ترفع إصبعها الصغير وتختار سير جيواين كي يكون زوجها. وشاهد الجميع بحزن سير جيواين وقد تقدم نحو المرأة العجوز وأمسك بيدها وقبلها.

أخذت الجواري المرأة العجوز وألبسنها ملابس تليق بملكة، مما جعلها تبدو أكثر قبحًا في أعين كل من يراها. وعندئذ تزوجت المرأة العجوز وسير جيواين في كنيسة بلاط الملك آرثر.

وبينما كان يفعل كل ما بوسعه كي يؤدي واجبه، كان جيواين العزيز النفس يعاني في داخله. وبعد الاحتفال، اتجه إلى غرفته وجلس هناك حيث طلب أن يكون بمفرده. غير أنه بحلول منتصف الليل، أدرك أنه كان يُسيء معاملة عروسه ويعاملها بوقاحة، فذهب ليبحث عنها ويعتذر لها.

قالت المرأة: «أنا أقبل اعتذارك. والآن، هذه الغرفة شديدة الظلام، لماذا لا تذهب وتحضر شمعة؟»

عاد جيواين حاملًا شمعة، لكن عندما اقترب، ووقعت دائرة الضوء على وجهها، لم ير المرأة العجوز التي تزوجها، بل امرأة آية في الجمال ذات شعر أسود طويل، وعينين سوداوين كالجواهر، وشفتين مثل المرجان.

شهق جيواين قائلًا: «من أنتِ؟»

ردت المرأة: «أنا زوجتك، وقد كنت قبيحة وعجوزًا لأنني سُحرت بسحر شرير، لكن عندما عطفت عليّ وتزوجتني حررتني جزئيًّا.»

سألها جيواين: «ماذا تقصدين بجزئيًّا؟»

أجابت: «لا بد أن أظل عجوزًا قبيحة نصف اليوم، لكنني سأدعك تختار أي نصف.»

أجاب جيواين بأنه لا يأبه برأي الآخرين أثناء النهار، وأنه يفضل أن ترافقه بجمالها الحقيقي أثناء الليل عندما يكونان معًا وحدهما. لكن زوجته ردت بأنها تؤثر أن تكون جميلة أثناء النهار حتى لا يسخر منها الناس.

أجاب جيواين: «حسنًا إذن، أنتِ زوجتي وأنا أكن لكِ الاحترام، ليكن ما تريدين في هذا الأمر وفي كل أمر.»

ضحكت زوجته وأقرت بأنها كانت تمتحنه امتحانًا أخيرًا، وأنه اجتازه بنجاح على نحو رائع. وأوضحت له أنها واحدة من سيدات البحيرة لكنها أحبته منذ أن رأته عندما كان يودع سير بيلياس، وهكذا صارت امرأة من أجله.

دعا جيواين كل من في البلاط ليأتوا ويحضروا معهم الأنوار والشراب. وعندما وصلوا، ابتهجوا للغاية لدى علمهم بما حدث، والتقوا بزوجة جيواين الحقيقية.

إذن ليكن هذا درسًا لك، فكما أن زوجة جيواين بدت له في بادئ الأمر بغيضة، فكذلك يبدو الواجب لكل إنسان. لكن ما إن يكرس المرء نفسه لهذا الواجب، كما يفعل

العريس بطول أناة مع عروسه، حتى يصبح الواجب عادة جميلًا. أتمنى لك عزيزي القارئ أن ترى نفسك على قدر الواجب الموكل إليك وأنت تنعم بالسعادة مثل سير جيواين.

وفي مناسبة أخرى سوف أخبرك بقصص بعض الفرسان العظماء الآخرين. لكن حتى ألقاك مرة أخرى، وداعًا.